مؤسسة الخليل التنموية الخيرية
مركز مسار للدراسات والبحوث
الدراسات القرآنية(١)

مُذَكِّرَةٌ
فِيْ عُلُومِ الْقُرْآنِ

تأليف

إبراهيم بن محمد الفقيه القادمي السريحي

مركز مسار للدراسات والبحوث
اليمن- صنعاء

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أنزل الكتاب قيمًا ليكون للناس بشيرًا ونذيرًا وصلى الله على من بعثه الله ليبين للناس ما نزل إليهم وسراجًا منيرًا، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ما تعاقب الليل والنهار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون، وأفنيت فيه الأعمار، وجد فيه الطالب بالليل والنهار، وكد فيه أصحاب الهمم الكبار«كتاب الله عزوجل» إذ فيه العلم الذي تعقد عليه الخناصر، وتفنى في تدوينه الأقلام والمحابر، فصاحب الفقه يأخذ منه أدلته، وصاحب اللغة يغترف من أمثلته، فلا يستغني عنه مسلم ومسلمة في حياته بالليل والنهار.

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ، وصحابته، ومن سلف هذه الأمة وخلفها جميعا إلى يومنا هذا.

وقد تنوعت هذه العناية بكتاب الله تعالى، واتخذت أشكالا مختلفة،فتارة ترجع إلى لفظه،وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه.

وقد بذل العلماء قديماً وحديثاً جهودهم في خدمة القرآن وعلومه،فألفوا فيه المؤلفات المتنوعة، والتصانيف المختلفة المتعلقة بكتاب الله حتى زخرت المكتبة

الإسلامية بتراث من الأئمة في علوم القرآن فمنهم من ألف في كيفية تلقي القرآن الكريم –وهو ما يسمى بعلم التجويد–، ومنهم ألف في علم القرآءات، وهكذا في علم الرسم العثماني، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وعلم أسباب النزول إلى غير ذلك من العلوم المتعلقة بالقرآن.

وقد أفرد كل علم من هذه العلوم بالتصانيف الكثيرة ما بين مطول ومختصر من أئمة الدين وحملته فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهذه العلوم المتعلقة بكتاب الله هي ما تسمى بـ«علوم القرآن».

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم هو عبارة عن مجموعة من الدروس في أصول التفسير وعلوم القرآن، كنت قد ألقيت بعضها على طلبة العلم الشرعي بدار الحديث بدماج، فطلب مني بعض الطلاب أن أجمعها في كتاب، فشرعت في ذلك مستعينا بالله العظيم على جمعها، وأتممت بعض الأبواب المتعلقة به حتى يكون تمهيداً ومدخلاً للكتب المطولة في هذا الفن، وقد أسميت هذا الكتاب بـ(**مذكرة في علوم القرآن**).

وقد سلكت في مباحث هذا الكتاب مسلكاً وسطاً، فلا تطويل ممل، ولا اختصار مخل، إلا ما كان من بعض المباحث المهمة، المتعلقة بالعقيدة فقد أطلت فيها نوعاً ما، ببيان المعتقد الصحيح الموافق لمنهج السلف الصالح، بنقل أقوال أئمة أهل السنة، والرد على من زلت قدمه في ذلك.

كذلك اعتمدت في الترجيح في المسائل على الأحاديث الصحيحة، معتمداً في ذلك على ما نقله أئمة الحديث في التصحيح، مع بيان الأحاديث الضعيفة التي اعتمد عليها

بعض أهل العلم في الترجيح.

وما كان من شكر فإني أشكر الله تعالى على نعمه الكثيرة، التي لا تُعد ولا تُحصى، ومن أجلّها الهداية إلى الصراط المستقيم، وطلب العلم الشرعي على أيدي مشايخ أهل السنة والجماعة.

ثم أشكر والديّ الكريمين اللذين كانا عوناً لي على طلب العلم الشرعي، فأسأل الله تعالى أن يوفقهما لكل خير، وأن يرزقنا برهما والإحسان إليهما، إنه على كل شيء قدير.

كذلك لا أنسى أن أشكر كل من أفادني بفائدة أو تنبيه من إخواني طلبة العلم الشرعي، جزاهم الله خيراً.

وهذا جهد بشري معرض للخطأ والنقصان، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطإٍ فمن نفسي ومن الشيطان الرجيم، ومن وجد فيه خطأ أو أمراً يحتاج إلى تنبيه أو فائدة فلا يبخل علينا، وله منا جزيل الشكر والثناء.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

وكتب/ إبراهيم بن محمد الفقيه القادمي السريحي

٢٤/ ذي الحجة / ١٤٢٨هـ

جوال/ ٠٠٩٦٧٧٧٧١١٥١٦٦

بريد اكتروني/ Alfagih90@gmail.com

تمهيد

مقدمة في علوم القرآن

أولا: تعريفه:

قال الزرقاني: هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه،وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه.[١]

ويسمى هذا العلم بأصول التفسير؛لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها للإستناد إليها في تفسير القرآن[٢].

وإنما جمع باسم «علوم القرآن» لأنه لم يقصد إلى علم واحد يتصل بالقرآن،إنما أريد شمول كل علم يخدم القرآن،أو يستند إليه مما ذكر في التعريف.

ثانياً: موضوع علوم القرآن:

هو القرآن الكريم من أي ناحية من النواحي المذكورة في التعريف.[٣]

ثالثا: ثمرة علوم القرآن:

أولاً: تيسير تفسير القرآن الكريم، فهي مفتاح باب التفسير، ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن.

---

(١) "مناهل العرفان في علوم القرآن"(١/ ٢٠).

(٢) "مباحث في علوم القرآن" لمناع القطان ص(١١).

(٣) "مناهل العرفان"(١/ ٢٠)

ثانياً: معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم، وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.

ثالثاً:التسلح بمجموعة من العلوم التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.[١]

رابعاً: التدوين فيه:

إن أول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن كفن مستقل على يد محمد بن خلف المرزبان المتوفى (٣٠٩هـ) في كتابه "الحاوي في علوم القرآن"، ثم جاء بعده أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى (٣٢٨هـ) في كتابه "علوم القرآن"،ثم جاء بعده الحوفي المتوفى (٣٣٠هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" وهو يقع في ثلاثين مجلداً، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) في كتابه "فنون الأفنان في عجائب القرآن"،و"المجتبى في علوم تتعلق بالقرآنط، ثم جاء علم الدين السخاوي المتوفى (٦٤١هـ) فألف كتابه "جمال القراء"، وأبو شامة المتوفى (٦٦٥هـ) ألف "كتابه المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى (٧٩٤هـ) فألف كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم جاء بعده جلال الدين البلقيني المتوفى (٨٢٤هـ) فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ثم جاء بعده جلال الدين السيوطي

(١) انظر "دراسات في علوم القرآن "للدكتور فهد الرومي ص(٣٠-٣١).

المتوفى (٩١١هـ) فألف كتابه "التحبير في علوم التفسير" ضمنه ما ذكره البلقيني في كتابه من الأنواع مع زيادة مثلها، وأضاف إليه فوائد، ثم ألف كتاب "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه كلٌ يأخذ منه، والبعض يلخص، والبعض يختصر.

وفي الآونة الأخيرة نشطت حركة التأليف في علوم القرآن فكان ممن خاض غمار هذا الفن.

الشيخ طاهر الجزائري في كتابه "التبيان في علوم القرآن"،والشيخ محمد سلامة في كتابه "منهج الفرقان في علوم القرآن"،والشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"، والشيخ مناع القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن" والشيخ صبحي الصالح في كتابه "مباحث في علوم القرآن".[1]

وغيرهم من المشايخ والعلماء في هذا العصر ممن أفردوا بعض مباحث علوم القرآن بالتأليف .

(١) انظر "سير أعلام النبلاء" للذهبي ترجمة المرزبان والأنباري(١٤/ ٢٦٤)،(١٥/ ٢٧٤)، "مناهل العرفان"(١/)، "مباحث في علوم القرآن" ص(١٢-١٦)، "البدائع في علوم القرآن"(٢٦).

الفصل الأول

الـوحـــــي

الوحي

تعريف الوحي:

لغة: قال الجوهري: الوحْيُ: الكتابُ، وجمعه وُحِيٌّ. والوَحْيُ أيضاً: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ، وهو أن تكلِّمه بكلامٍ تخفيه. قال العجاج:

وَحى لها القرارَ فاسْتَقَرَّتِ.

قال ابن منظور: أَي وحَى اللهُ تعالى للأَرض بأَن تَقِرَّ قراراً ولا تميدَ بأَهلها أَي أَشار إليها بذلك.(١)

قال الراغب الأصفهاني في "مفرداته":أصل الوحى الاشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحى وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة.(٢)

فالوحي بالمعنى اللغوي يتناول عدة معاني كما ذكرها الراغب في "مفرداته"،وابن منظور في "اللسان" وهي كما يلي:

١- الإلهام للإنسان كالوحي لأم موسى في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ [القصص: ٧].

---

(١) "لسان العرب" مادة وحى

(٢) "مفردات الراغب" مادة وحى(٨٥٨).

قال الأَزهري: وقال الله عز وجل: ﴿**وأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ موسى أَن أَرْضِعِيه**﴾.

قال الوَحْيُ ههنا: إِلقاءُ اللهِ في قلبِها قال وما بعد هذا يدل والله أَعلم على أَنه وَحْيٌ من الله على جهة الإِعلامِ للضَّمانِ لها إِنَّا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين وقيل إنَّ معنى الوَحْي ههنا الإِلهام قال وجائز أَن يُلْقِيَ الله في قلبها أَنه مردود إليها وأَنه يكون مرسلاً ولكن الإعلام أَبين في معنى الوحي ههنا.(١)

وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: وكان قَتادة يقول، في معنى ذلك ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾: قذفنا في قلبها.(٢)

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: فلما ضاقت ذرعًا به ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها، كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيه**﴾(٣).

٢- الإلهام للحيوان كالوحي إلى النحل في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾

قال ابن كثير في تفسيره: المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها.(٤)

وقال ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وألهم ربك يا محمد النحل إيحاء

---

(١) "لسان العرب" مادة وحى.

(٢) "تفسير ابن جرير"(١٩/ ٥١٩).

(٣) "تفسير ابن كثير"(٦/ ٢٢٢)

(٤) "تفسير ابن كثير"(٤/ ٥٨١).

إليها.[١]

٣- الإشارة الخفية السريعة وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[مريم:١١].

قال الراغب: فقد قيل رمز،وقيل: أشار،وقيل:كتب.[٢]

وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ**﴾ يقول: أشار إليهم، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك، مما يفهم به عنه ما يريد.[٣]

٤- وسوسة الشياطين وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:١٢١].

قال الراغب في "مفرداته": فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ [الناس: ٤].[٤]

وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية: أي يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق، المباينة للصواب، قاصدين بذلك أن يجادلكم هؤلاء الأولياء بما يوسوسون لهم.[٥]

٥- ما يوحيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي**

---

(١) "تفسير ابن جرير"(١٧/ ٢٤٧)

(٢) "مفردات الراغب"(٨٥٩)

(٣) "تفسير ابن جرير"(١٨/ ١٥٣).

(٤) "مفردات الراغب"مرجع سابق.

(٥) "فتح القدير"(٥/ ٧٤٥).

﴿رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

تعريفه في الشرع:

أما تعريف الوحي شرعاً: فهو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه، وهذا تعريف له بمعنى اسم المفعول.

أما تعريف الوحي بالمعنى المصدري: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هو إعلام سريع خفي.(١)

وقال الزرقاني: هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.(٢)

أنوعـــه

أولا: وحي اللّه تعالى إلى ملائكته:

قد ثبت في كتاب الله عزوجل أن الله تعالى يختار من عباده من شاء لتبليغ الرسالة فقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[الحج: ٧٥]

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقَدَره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته.(٣) اهـ

---

(١) "مقدمة في التفسير" بشرح ابن عثيمين(٤٢).

(٢) انظر "مناهل العرفان" للزرقاني(١/ ٤٦).

(٣) "تفسير ابن كثير"(٤/ ٤٥٤).

والله تعالى يوحي إلى ملائكته الكرام بما شاء وكيف شاء قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال: ١٢].

وكما ثبت من حديث أبي هريرة س يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:« إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.[(١)]

وثبت من حديث ابن عباس ب: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَرُمِيَ بِنَجْمٍ عَظِيمٍ فَاسْتَنَارَ قَالَ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ كُنَّا نَقُولُ يُولَدُ عَظِيمٌ أَوْ يَمُوتُ عَظِيمٌ قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ أَكَانَ يُرْمَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ غُلِّظَتْ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ وَيَخْطِفُ

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٤٢٦).

الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْذِفُونَ وَيَزِيدُونَ»[(١)].

فهذه الأدلة تدل على أن الله تعالى إذا أراد أمراً أوحى إلى ملائكته وتكلم معهم بكلام يليق بجلاله تعالى، فالملائكة يقومون بتدبير شؤون الكون بأمر الله تعالى قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[النازعات: ٥].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة،زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض. يعني: بأمر ربها عز وجل. ولم يختلفوا في هذا.[(٢)]

وقال جل ثناؤه: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ [الذاريات: ٤]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية.[(٣)]

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٤١٣٦).

(٢) "تفسير ابن كثير"(٨/ ٣١٣).

(٣) "تفسير ابن كثير"(٧/ ٤١٣).

كيف تلقى جبريل القرآن من اللّه عز وجل؟

من المعلوم في عقيدة أهل السنة والجماعة أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن وسمعه من الله عزوجل بحرف وصوت، ثم بلغه إلى النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ *نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

قال الشنقيطي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أكد جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم تنزيل رب العالمين، وأنه نزل به الروح الأمين الذي هو جبريل على قلب نبينا صلى الله عليهما وسلم، ليكون من المنذرين به، وأنه نزل عليه بلسان عربي مبين، وما ذكره جل وعلا هنا أوضحه في غير هذا الموضع، أما كون هذا القرآن تنزيل رب العالمين فقد أوضحه جل وعلا في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ المطهرون تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العالمين**﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العالمين**﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣].[(١)] اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فنص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة أنا نقرأ القرآن باصواتنا والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه سمعه جبريل من الله، وبلغه إلى محمد ﷺ وسمعه محمد منه، وبلغه محمد إلى الخلق والخلق يبلغ بعضهم إلى بعض،

---

(١) "أضواء البيان"(٦/ ١٥٦).

ويسمع بعضهم من بعض.[١] اهـ

وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾[التكوير: ١٩- ٢٠- ٢١].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: يعني: أن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي: ملك شريف حَسَن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل، عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مِهْران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.[٢] اهـ

وقد خالف في هذا المعتقد طوائف من المبتدعة .

* **قال السيوطي**: وفي المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾.

والثالث: أن جبريل أُلقي عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ٩٨)

(٢) "تفسير ابن كثير"(٨/ ٣٣٨)

السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك[١].

وهذه الأقوال لأهل البدع ذكرها السيوطي ولم يرد عليها، وقد أنكر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على السيوطي إثباته أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ في مبحث خاص كما في "مجموع فتاواه"(١/ ٢١٤)،وكذلك ذكر هذه الأقوال ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" ورد عليها، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله تعالى **وإليك الرد على هذه الأقوال الباطلة:**

أما القول الأول:

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب ولم يسمعه من الله كان هذا باطلاً من وجوه:

منها: لو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة بيده، وأنزلها مكتوبة فيكون بنو إسرائيل قد قرأوا الألواح التى كتبها الله وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ، ومحمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن اللوح فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بنى اسرائيل أرفع من منزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية، والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أنزل عليهم كتاباً لا يغسله الماء وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة، وفرقه عليهم لأجل ذلك فقال: ﴿**وَقُرْآناً**

(١) انظر "الإتقان" للسيوطي (١/ ١٢٥)

﴿فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ . ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجده مكتوباً كانت العبارة عبارة جبريل، وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذى كتب كلاما ولم يقدر أن يتكلم به وهذا خلاف دين المسلمين .(١)

وقال رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[الأنعام: ١١٤] قال: فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا من غيرهما،وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه.اهـ

وقال رحمه الله بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١- ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فإن كونه مكتوباً فى اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدى الملائكة لا ينافى أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد

(١) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٥٢٠)

ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله.اهـ[١]

و أما القول الثاني:

أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤].

فهذا القول باطل وقد حكى هذا القول شيخ الإسلام عن الأشاعرة والكلابية، وهو مبني على إثبات الكلام النفسي، ونفي الحرف والصوت في كلام الله تعالى، وأن كلام الله معنى قائم بذات الله إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عن بالسريانية كان إنجيلاً.

قال شيخ الإسلام راداً على هذا القول: وجمهور العقلاء من أهل السنة والجماعة وأهل البدعة يقولون: إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة.اهـ[٢]

وقال شيخ الإسلام: فصل في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال الله تعالى: **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[النحل: ١٠٢].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٢٧).

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ١٦٥)

فأمره أن يقول: ﴿**نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ فإن الضمير في قوله: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ**﴾ عائد على ما في قوله ﴿**بما ينزل**﴾ والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام وقوله والله أعلم.

وقال: ومنها أن هذه الآية – أي قوله: ﴿**مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ**﴾- تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول، فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا.اهـ[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قيل فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ وهذا يدل على أن الرسول أحدث الكلام العربي؟!

قيل: هذا باطل وذلك لأن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين والرسول في أحد الموضعين محمد والرسول في الآية الأخرى جبريل قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا**

(١) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ١٢٠).

﴿تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالرسول هنا محمد ﷺ، وقال في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ فالرسول هنا جبريل فلو كان أضافه إلى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئاً لكان الخبران متناقضين، فإنه إن كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها.

وأيضاً فإنه قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ولم يقل: لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول يستلزم مرسِلاً له فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسِله لا أنه أنشأ منه شيئاً من جهة نفسه، وهذا يدل على أنه أضافة إلى الرسول لأنه بلغه وأداه لا لأنه أنشأ منه شيئاً وابتداه.

وأيضاً فإن الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ومحمد بشر، فمن قال: إنه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين أن يقول هو قول بشر أو جني أو ملك فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ فجعله قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول: إنه قول البشر فعلم أن المراد بذلك أن الرسول بلغه عن مرسله لا أنه قولٌ له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

فالذئ بلغه الرسول هو كلام الله لا كلام الرسول.

ولهذا كان النبئ يعرض نفسه علئ الناس بالمواسم ويقول: آلا رجل يحملنئ إلئ قومه لأبلغ كلام ربئ فإن قريشاً قد منعونئ أن أبلغ كلام ربئ رواه أبو داود وغيره.اهـ[١]

وقال في موضع آخر: فمن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون: ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال.[٢] اهـ

وأما استدلالهم بقوله تعالئ: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ فليس فيه دلالة علئ أن جبريل نزل بالمعاني فقط والألفاظ من النبي ﷺ بل **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: وفي قوله: الأمين دلالة علئ أنه مؤتمن علئ ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه،فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة- كما قال في صفته في الآية الأخرئ ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾.اهـ

وهذه الآية نظير الآية الأخرئ: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة: ٩٧].

قال الشنقيطي في "أضواء البيان" عند تفسير هذه الآية: ظاهر هذه الآية أن جبريل

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٣٥).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٣٨).

ألقىٰ القرآن في قلب النَّبي ﷺ من غير سماع قراءة، ونظيرها في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**نَزَلَ بِهِ الروح الأمين على قَلْبِكَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] الآية . ولكنه بين في مواضع أخر أن معنىٰ ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتىٰ يسمعه منه، فتصل معانيه إلىٰ قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنىٰ تنزيله علىٰ قلبه، وذلك كما في قوله تعالىٰ: ﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتبع قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[القيامة: ١٦-١٩]، وقوله: ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآن مِن قَبْلِ إَن يقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[طه: ١١٤] .

وأما القول الثالث:

أن جبريل أُلقى عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك.

فهذا القول باطل، وقد ذكر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأبطله فقال:

وكذلك من قال: أنه ألقىٰ إلىٰ جبريل المعانىٰ وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربىٰ فقوله يستلزم أن يكون جبريل ألهمه إلهاما وهذا الالهام يكون لآحاد المؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**﴾ وقال: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ وقد أوحىٰ إلىٰ سائرالنبيين فيكون هذا الوحىٰ الذىٰ يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين أعلىٰ من أخذ محمد القرآن عن جبريل لأن جبريل الذىٰ علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء، ولهذا زعم ابن عربىٰ أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء وقال: لأنه يأخذ من المعدن الذىٰ يأخذ

منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول فجعل أخذه وأخذ الملك الذي جاء إلى الرسول من معدن واحد وادعى أن أخذه عن الله أعلى من أخذ الرسول للقرآن ومعلوم أن هذا من أعظم الكفر وأن هذا القول من جنسه .[1] اهـ

كذلك يرد هذا القول كثير من الآيات الواردة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[النحل: ١٠٢]

قال شيخ الإسلام: فبين أن جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك وكذلك سائر آيات القرآن اهـ

وقال في موضع آخر: فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين.اهـ

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ [النمل: ٦]، ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [السجدة: ٢]، ﴿**والقرآن الحكيم *تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ [يس: ٥]،وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**﴾[التوبة: ٦] فهذه الآيات وغيرها فيها بيان شافي أن القرآن كلام الله تعالى وأنه منزل من الله تعالى لفظه ومعناه، وكما قال شيخ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٨).

الإسلام: فنص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة أنا نقرأ القرآن بأصواتنا والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه، سمعه جبريل من الله، وبلغه إلى محمدﷺ....إلى آخر كلامه رحمه الله.[1] اهـ

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٥).

ثانيا:وحي الله تعالى إلى رسله:

وحي الله تعالى إلى رسله على حالتين:

الحالة الأولى:الوحي بواسطة: وهو الملك جبريل عليه السلام، ويكون ذلك بإحدى حالتين:

الأولى: أن يأتيه الملك بصوت مثل صلصلة الجرس وهي أشد على الرسول ﷺ فالصوت القوي يثير عوامل الانتباه، فتتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بهذه الكيفية على الرسول ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه .

الثانية: أن يتمثل له الملك رجلا ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف من سابقتها، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه إطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان.

وكلتا الحالتين مذكورة في الحديث الصحيح عن عائشة أم المؤمنين ك: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول**».

قالت عائشة ك: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه

وإن جبينه ليتفصد عرقاً)[١].

الثالثة: النفث في الروع وهو القلب ودليله حديث أبي أمامة س قال قال رسول الله ﷺ«**إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته**»[٢].

والنفث في الروع معناه **كما قال ابن الأثير في "النهاية"**: «نفث في روعي» أي أوْحَىٰ وألْقَىٰ.

(ونفث) من النَّفْث بالفَم وهو شَبيه بالنَّفْخ وهو أقَلُّ من التَّفْل لأن التَّفْل لا يكون إلاّ ومعه شيءٌ من الرِّيق.اهـ

وقال الحافظ: وأما النفث في الروع فيحتمل أن يرجع إلى إحدىٰ الحالتين فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ في روعه[٣].اهـ

الرابعة: أن يأتيه الملك في صورته التي خلق عليها وقد ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في "صحيحه" عن مسروق قال:« كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية قلت ما هن؟ قالت من

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٢)، ومسلم برقم(٤٣٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٢٩رقم٣١) وعبد الرزاق (١١/ ١٢٥رقم٢٠١٠٠)، والطبراني في "الكبير"(٧/ ١٨١رقم ٧٥٩٤) وصححه العلامة الألباني في "الصحيحة" برقم(٢٨٦٦)

(٣) "فتح الباري"(١/ ١٩)

زعم أن محمدا ﷺ رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾[النجم:١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾** [الشورىٰ:٥١]»[1].

وكذلك ما أخرجه البخاري، ومسلم عن جابر بن عبد الله س وهو يحدث عن فترة الوحي فقال: «**فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ثم حمي الوحي وتتابع**»[1].

الحالة الثانية: الوحي بغير واسطة وهو على حالات:

الأولى:الرؤيا الصادقة في المنام: ودليل ذلك ما أخرجه البخاري، ومسلم عن عائشة ك قالت: «**كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**».[2] أي في قوة ودقة تحققها وتصديقها .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤)، ومسلم برقم(٢٥٥)

(٢) أخرجه البخاري برقم(٣) ومسلم برقم(٢٥٢)

وكان ذلك تهيئة لرسول الله ﷺ حتىٰ ينزل عليه الوحي يقظة لكن ليس في القرآن شيء من هذا النوع؛ لأنه نزل جميعه يقظة، وأشار إلىٰ هذا الحافظ في "الفتح".

قال النووي: قال القاضي رحمه الله وغيره من العلماء: إنما ابتدىء ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوىٰ البشرية فبدىء بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا.(١) اهـ

قال ابن القيم: والرؤيا مبدأ الوحي وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً.(٢) اهـ

وقال رحمه الله: ورؤيا الأنبياء وحي فإنها معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الأمة، وأما رؤيا غيرهم فتعرض علىٰ الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.(٣) اهـ

ومما يدل علىٰ أن الرؤيا الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه ما جاء في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام من رؤيا ذبحه لابنه، وقد حكىٰ الله قصته في قوله: **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى**

---

(١) "شرح مسلم"(٢/ ١٩٢)

(٢) "البدائع في علوم القرآن" ص(٩٣).

(٣) "البدائع في علوم القرآن "مرجع السابق.

﴿إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده لولا أن منّ الله عليه بالفداء .

والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسل فهي باقية للمؤمنين وإن لم تكن وحيًا، كما جاء في الحديث الصحيح: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة** »[1] .

الثانية: الكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة بدون واسطة: وهذا ثابت لنبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ وقال: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ كما ثبت التكليم لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حين عرج به إلى السماء وكلمه ربه، وأنواع الوحي المتقدمة ذكرها الله تعالى في مثل قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٥٨٩).

الفصل الثاني

القـــــرآن

القرآن

أولاً: تعريفه:

لغة: القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا أو بمعنى جمع تقول:قرأ قرءاً وقرءاناً كما تقول: غفر غفراً وغفراناً، فعلى المعنى الأول(تلا) يكون مصدراً بمعنى اسم المفعول أي بمعنى متلو، وعلى المعنى الثاني(جمع) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل أي بمعنى جامع؛ لجمعه الأخبار والأحكام.

قال الراغب: والقرآن في الأصل مصدر نحو: كفران، ورجحان قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[القيامة:١٧-١٨].

قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[يوسف:١١١].(١)

شرعاً: هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ،المعجز، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

---

(١) انظر "مفردات الراغب" ص(٦٦٨) و"أصول التفسير" لابن عثيمين(١٢٩)و"جمال القراء وكمال الإقراء" (١/ ٢٣)،"النبأ العظيم" ص(٥)

وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة.

قال الشيخ ابن عثيمين: وهذا المعنى قد أجمع عليه المسلمون، لم يشذ إلا الرافضة حيث ادعوا أن القرآن فيه نقص، أو أنه حذف منه أشياء.اهـ

قولنا: (**كلام الله**) كلام جنس يشمل كل كلام، وبإضافته إلى الله تعالى يخرج كلام غيره.

قولنا: (**المنزل**) أخرج كلام الله تعالى الذي استأثر به سبحانه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً، بل الذي أنزل منه قليل من كثير قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان: ٢٧].

قولنا: (**على رسوله محمد**ﷺ) أخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والزبور المنزل على دواد عليه السلام، والصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام.

قولنا: (**المعجز**) أخرج بقية الكتب السماوية، والسنة النبوية فإنها وإن كانت منزلة لكن لم يقصد بإنزالها الإعجاز، فالإعجاز خاص بالقرآن دون غيره.

قال ابن الأثير في "النهاية" عند حديث: «**ما من نَبِي إلا أُعْطِيَ من الآيات ما مثْلُه آمَنَ عليه البشر وإنما كان الذي أُتِيتُه وحْيا أوْحاه اللهّ إليَّ**» أي: آمَنُوا عند معاينة ما آتاهم اللهّ من الأيات المعجزات . وأراد بالْوَحْي إعجازَ القرآن الذي خُص به فإنه ليس شيء

من كُتب اللهّ تعالىٰ المنزّلة كان مُعْجزا إلا القرآن.[١]

وقولنا: (المنقول بالتواتر) أخرج جميع ما سوىٰ القرآن من منسوخ التلاوة، والقراءات غير المتواترة.كالقراءات الشاذة.

وقولنا: (المتعبد بتلاوته) أي المأمور بقراءتها في الصلاة وغيرها علىٰ وجه العبادة، فأخرج بهذا الآيات المنسوخة اللفظ سواء بقي جكمها أم لا لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها فلا تعطىٰ حكم القرآن، وكذلك خرج بذلك ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك كالقراءات الآحادية، والأحاديث القدسية[٢].

ثانيا: أسماء القرآن الكريم وأوصافه:

قال الزركشي: قال القاضي أبو المعالي: اعلم أن الله تعالىٰ سمىٰ القرآن بخمسة وخمسين اسماً ثم ذكرها. وهي أسماء وأوصاف للقرآن الكريم ونذكر شيئا منها:

١- القرآن وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾[الإسراء: ٩].

٢- الفرقان وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ**

---

(١) "النهاية في غريب الحديث"(١/ ١٦٦)

(٢) انظر في تعريف القرآن "إجابة السائل" للصنعاني(١/ ٦٣)و"إرشاد الفحول"(١/ ٤٦) و"النبأ العظيم" لدراز ص(١٠)،و"شرح أصول التفسير" للعثيمين ص(١٢٩) "التحبير شرح التحرير" في أصول الفقه(٣/ ١٢٤٠-١٢٤٢)، و"شرح الكوكب المنير"(٢/ ١١٥).

﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان: ١].

٣- الكتاب وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: ١٠].

٤- الذكر وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحِجْر: ٩].

٥- الوحي، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[الأنبياء:٤٥].

٦- التنزيل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ١٩٢].

٧- القصص وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ٦٢].

وأما أوصافه فكثيرة نذكر منها:

١- وصفه الله بأنه نور وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[المائدة: ١٥].

٢- ووصفه بأنه موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

٣- ووصفه بأنه مبارك وذلك في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

٤- ووصفه بالنبأ العظيم وذلك في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ *عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١- ٢].

٥- ووصفه بأنه عزيز وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾[فصلت: ٤١].

٦- ووصفه بأنه روح،ونور، وصراط مستقيم وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الشورى: ٥٢].

٧- ووصفه بأنه حكيم وذلك في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**﴾[آل عمران: ٥٨]،وقوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ [يونس: ١].

إلى غير ذلك من الأسماء والأوصاف التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وهي كثيرة وقد ذكرها بتوسع الزركشي رحمه الله في "البرهان"، والسخاوي في "جمال القراء".(١)

ثالثا: الفرق بين القرآن والحديث القدسي.

أولا: تعريف الحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن الله عزوجل بلفظه ومعناه، ولم يتعبد بتلاوته.

والقدسي نسبة إلى القُدُس: وهي نسبة تدل على التعظيم؛لأن مادة الكلمة دالة على

(١) "البرهان"(١/ ٢٧٣-٢٨٢)، و"جمال القراء وكمال الإقراء"(١/ ٢٣)وذكر شيئاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(١٤/ ١-٢)

التنزيه والتطهير في اللغة.[١]

وسميت بالقدسية نسبة إلى القدس وهو الطهر؛لإضافتها إلى الله تعالى وهو القدوس المنزه عن كل عيب ونقص.

ثانياً: صيغته: أكثر الصيغ التي يعرف بها الحديث القدسي وأشهرها ما كان صريحا في بيان هذه النسبة مثل قول النبي ﷺ: قال الله...أو يقول الله...، أو قال ربكم... أو أوحى الله... أو ما شابه ذلك من الصيغ التي تثبت القول للرب تبارك وتعالى.

وهناك صيغ أخرى مثل قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل.

ثالثا: الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

١- أن الله عزوجل تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه، بخلاف الحديث القدسي فلم يحصل فيه التحدي والإعجاز وقد سبق كلام ابن الأثير أن الإعجاز خاص بكتاب الله عزوجل.

وقال العلامة الشهاب ابن حجر الهيثمي في "شرح الأربعين النووية": اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة: أولها وهو أشرفها القرآن لتميزه عن البقيه بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر[٢].

٢- أن القرآن محفوظ من عند الله عزوجل كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا**

(١) "معجم مقاييس اللغة"(٥/ ٦٣)، "مفردات الراغب"(٦٦٠)

(٢) نقلاً من كتاب "قواعد التحديث" للقاسمي ص(٩١).

﴿لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩] بخلاف الأحاديث القدسية ففيها الصحيح، والحسن بل أضيف إليها ما كان ضعيفاً أو موضوعاً، وهذا وإن لم يكن منها لكن نسب إليها، وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص.

٣-القرآن الكريم يتعبد بتلاوته بكل حرف عشر حسنات، والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته بمعنى أن الإنسان لا يتعبد الله بمجرد قراءته فلا يثاب على قراءته كالثواب الذي يستحقه قارئ القرآن.

٤- أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين أما الأحاديث القدسية فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى والأكثرون على جوازه.

٥- أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة، ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته بخلاف الأحاديث القدسية.

٦- أن القرآن ثبت بالتواتر فلو أنكر منه حرفاً أجمع القراء عليه لكان كافراً، بخلاف الأحاديث القدسية؛فإنه لو أنكر شيئاً منها مدعياً أنه لم يثبت لم يكفر،أما لو أنكره مع علمه أن النبي ﷺ قاله لكان كافراً؛ لتكذيبه النبي ﷺ.

٤- القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله تعالى بلا خلاف بين أهل السنة،وأما الحديث القدسي فقد حصل خلاف بين أهل العلم هل لفظه من الله تعالى أم لفظه من النبي ﷺ؟على قولين:

* منهم من ذهب إلى أن معناه من الله تعالى ولفظه من النبي ﷺ فهو وحي بالمعنى دون اللفظ،وذهب إلى هذا القول الطيبي، وعبد العزيز الدباغ،ورجحه ابن عثيمين،

ومناع القطان[١].

* ومنهم من ذهب إلى أن معناه ولفظه من الله تعالى وذهب إلى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، والصنعاني، وابن حجر الهيثمي،والزرقاني،والشيخ الفوزان، والشيخ صالح آل الشيخ.[٢] وهو الذي يدل عليه صنيع الإمام البخاري رحمه الله حيث بوب في صحيحه: باب قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ ثم ساق ما يقرب من عشرة آحاديث قدسية.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً: والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن،فإنه ليس نوعاً واحداً.[٣]

وهذا هو القول الراجح وهو الذي يتفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأيضاً فإن القرآن وإن كان كله كلام الله، وكذلك التوراة و الإنجيل والأحاديث الإلهية التى يحكيها الرسول عن الله تبارك وتعالى كقوله: «**يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرم فلا تظالموا**»

---

(١) انظر "قواعد التحديث" للقاسمي ص(٩٠-٩٤)،"شرح الأربعين النووية" للعثيمين(٢٣٦-٢٣٨)، "مباحث في علوم القرآن" ص(٢٦).

(٢) "إجابة السائل"(١/ ٨٢)،"قواعد التحديث" ص(٩٠)، "مناهل العرفان"(١/ ١٣٧)مقدمة "الضياء اللامع من الأحاديث القدسية الجامع" للشيخ الفوزان (٦) "شرح الأربعين النووية" للشيخ صالح آل الشيخ ص(٢٧٠)

(٣) "فتح الباري" (١٣/ ٤٦٧).

الحديث. وكقوله: «**من ذكرني فى نفسه ذكررته فى نفسي**» و أمثال ذلك هي و إن إشتركت فى كونها كلام الله فمعلوم أن الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلم به ونسبة إلى المتكلم فيه فهو يتفاضل بإعتبار النسبتين و بإعتبار نفسه أيضاً....إلخ[١]

وقال في موضع آخر وهو يتكلم على حديث أبي ذر القدسي قال: وهو من الأحاديث الإلهية التى رواها الرسول عن ربه وأخبر أنها من كلام الله تعالى وإن لم تكن قرآنا.[٢] اهـ

قال ابن حجر الهيثمي بعد أن ذكر أنواع الكلام المضاف إلى الله تعالى فقال:

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نقل إلينا آحاداً عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه؛فهي من كلامه تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبي ﷺ؛لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن؛فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى فيقال فيه: «قال الله تعالى» وفيها «قال رسول ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى».اهـ المراد

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: والذي يتفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة أن الحديث القدسي من حيث اللفظ هو من الله تعالى، وأن النبي ﷺ يرويه رواية بلفظه، وليس له ﷺ أن يغير معناه، وبعض أهل العلم يقول: ليس له أن يغير لفظه.

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٧/ ٥٧)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٨/ ١٥٧)

وقال راداً على القول الأول: وبعض أهل العلم قالوا إن معناه من الله جل وعلا، ولفظه من النبي ﷺ أبيح له أن يغير في لفظه،وهذا القول لا دليل عليه؛لأن جاء ذلك بالنقل«قال الله تعالى...، قال ربكم...، والصحابة يقولون: فيما ينميه إلى ربه، فيما يبلغه عن ربه، فيما يرويه عن ربه.

وهذه كلها من ألفاظ الأداء في الرواية، وليس ثمّ ما يدل على أن المعنى من الله، وأن النبي ﷺ يتصرف في الألفاظ بما يؤدي به المعنى؛إذ لا دليل عليه كما ذكرنا، ولا حاجة له ﷺ في ذلك.

وأيضاً هذا القول: وهو أنه من حيث اللفظ من النبي ﷺ والمعنى من الله يتفق مع قول الأشاعرة، والماتريدية، وأشباه هؤلاء في أن الله عز وجل كلامه كلام نفساني بمعنى: أنه يلقي في روع جبريل المعاني، أو يلقي في روع النبي ﷺ المعاني، ويعبر عنها جبريل بما يراه، ويعبر عنها النبي ﷺ بما يراه.

فإذاً الذي يتفق مع عقيدة أهل السنة في كلام الله أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله جل وعلا، ولم يتعبد بتلاوته.[1] اهـ

وهذا القول يصح نسبته إلى السلف رحمهم الله تعالى في القرون المفضلة، حيث كانوا يروونه على أنه من كلام الله تعالى، ولم يذكر فيما أعلم عن أحد منهم أنه قال: إن

(١) "شرح الأربعين النووية" مرجع سابق.

اللفظ من الرسول ﷺ؛ بل كانوا يقولون: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.[١]

فإن قال قائل: إذا كان اللفظ من الله تعالى فما الفرق بينه وبين القرآن؟

فالجواب: قد سبق بيانه أن القرآن متعبد بتلاوته والآحاديث القدسية بخلاف ذلك، كذلك القرآن خص بالإعجاز والأحاديث القدسية لم يكن القصد منها الإعجاز إلى غير ذلك من الفوارق التي سبق ذكرها.

(١) انظر "جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن" للدكتور أحمد البريدي (٧٥٣).

الفصل الثالث

نزول القرآن

نـزول القـرآن

خلق الله تعالىٰ البشرية لحكمة عظيمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له،وإقامة شرعه، فأرسل لهم رسلاً، وأنزل عليهم كتباً؛ لإقامة الحجة عليهم وتبيين شرعه تعالىٰ لهم، فأفضل الرسل هو محمد ﷺ وأفضل الكتب هو القرآن الكريم المعجزة العظيمة الخالدة، فقد أنزله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ ليكون هدايةً ونوراً لهم في حياتهم يعملون بأوامره، ويبتعدون عن نواهيه، فكان نزول القرآن حدثاً عظيماً يؤذن بمكانة النبي ﷺ لدىٰ أهل السماء وأهل الأرض، لهذا كان مما ينبغي علىٰ المسلم أن يعرف كيف نزل القرآن، وأين نزل، وأول ما نزل منه وآخر ما نزل،وهو ما سنتناوله في هذا الفصل إن شاء الله تعالىٰ.

المبحث الأول: كيفية نزول القرآن

أولا: كيف أنزل القرآن؟

حصل خلاف بين أهل العلم في كيفية نزول القرآن هل له نزول واحد أم تنزلات متعددة؟

القول الأول:

وهو قول ابن عباس، وابن جبير، والحسن، وعليه جمهور أهل العلم أن للقرآن نزولان.

النزول الأول:

نزوله جملة واحدة إلى سماء الدنيا، قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾[الدخان:٣]، وقال جل ثناؤه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[القدر:١].

ففي هذه الآيات بيان أن القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر في شهر عظيم مبارك هو شهر رمضان، ومن المعلوم قطعاً أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ في ليلة واحدة، ولا في شهر رمضان وحده، وإنما نزل عليه في سائر الأيام والشهور في ثلاث وعشرين سنة.

قال ابن جرير -رحمه الله-عند قوله تعالى: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فإنه ذكر أنه نزل في

ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه.[(١)] اهـ

النزول الثاني:

نزوله منجماً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث ودليله قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾[الإسراء: ١٠٦].

* عن ابن عباس، قال: نزل القرآن كله مرة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه.[(٢)]

* وعن ابن عباس، قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، فهو قوله: ﴿**إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[(٣)].

القول الثاني:

هو المروي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم

---

(١) "تفسير ابن جرير"(٢/ ١٨٨)

(٢) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٣/ ١٩٠)، والحاكم(٢/ ٢٢٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٤٩٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في "تفسيره"(٣/ ١٩٠)، والبيهقي في "الدلائل"(٧/ ١٣١)، والنسائي في "الكبرى" (٧٩٩٠) بسند صحيح.

تتابع نزوله بعد ذلك مندرجًا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فالنزول واحد وهو نزوله منجماً أي مفرقاً.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾ [الإسراء:١٠٦]، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة واحدة قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [الفرقان:٣٢-٣٣].

القول الثالث:

أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة، وهذا قول مقاتل والحليمي في "المنهاج" والماوردي في "تفسيره".

وهناك قول رابع:

وهو أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة وهذا القول حكاه الماوردي واستغربه الحافظ ابن حجر فقال: وهذا أيضاً غريب، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل عليه في طول السنة.

والراجح من هذه الأقوال:

هو القول الأول جمعاً بين الآيات الواردة في نزول القرآن ورجحه الزركشي، والحافظ ابن حجر، و الألوسي، والسيوطي والزرقاني وغيرهم[١].

ثانيا: الحكمة من نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا:

قال الزركشي: فإن قيل ما السر في إنزاله جملة إلى السماء؟

قيل: فيه تفخيم لأمره، وأمر من نزل عليه وذلك بإعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ولقد صرفناه إليهم لينزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجماً بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة.[٢]

وقال السخاوي: في نزوله إلى السماء جملة، تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم.[٣]

ثالثا: الحكمة في نزول القرآن على النبي ﷺ منجما:

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية قلبه وهذه الحكمة هي التي رد الله بها على

---

(١) "تفسير ابن جرير"(٣/ ١٨٨) مرجع سابق، "روح المعاني" للألوسي(٣/ ٧٦) "فتح الباري"(٩/ ٧)، "الإتقان"(١١٠)"البرهان"(١/ ٢٣٠)"مناهل العرفان"(١/ ٣٤) "مباحث في علوم القرآن" (١٠٤).

(٢) "البرهان"(١/ ٢٣٠)

(٣) "جمال القراء وكمال الإقراء"(١/ ٢٠)

اعتراض الكفار في تنجيم القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾.

قال السعدي عند تفسير هذه الآيات: هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا: ﴿**لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾ أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿**كَذَلِكَ**﴾ أنزلناه متفرقا ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتاً وخصوصاً عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه.[(١)] اهـ

٢- التدرج في تربية هذه الأمة علماً وعملاً وذلك بتيسير حفظه وفهمه عليهم، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك غاية الحرص حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله تعالى: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[القيامة:١٦- ١٩].

هذا وقد نزل القرآن على أمّة أمية، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى الكاتبين

(١) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"(٥٨٢)

منهم على ندرتهم، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، فمن حكمة الله تعالى أن أنزله مفرقاً ليسهل حفظه عليهم وفهمه.

فكلما نزلت الآية فهمها الصحابة، وتدبروا معانيها، وقد كان هذا منهجاً لحفظ القرآن في عهد التابعين.

قال الشنقيطي في تفسيره عند الآية السابقة: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾وقال بعضهم: معناه لنقوي بتفريقه على حفظه؛ لأن حفظه شيئاً فشيئاً أسهل من حفظه مرة واحدة، لو نزل جملة واحدة.(١)

٣- مسايرة الأحداث والتدرج في التشريع فكلما حدثت حادثة بينهم نزل الحكم فيها يجلي لهم صبحها، ويرشدهم إلى الهدى فيها قال تعالى: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[الفرقان: ٣٣]. ويتبين ذلك بأمور:

* إجابة السائلين على أسئلتهم التي يوجهونها إلى رسول الله مثال قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ**﴾[البقرة: ١٨٩] ﴿**يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة: ٢١٥] ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾[البقرة: ٢١٩].

فهذه الأسئلة وجهت إلى رسول الله في أوقات مختلفة فكان الجواب عليها كذلك

---

(١) "أضواء البيان"(٦/ ٨٧).

في أوقات مختلفة ونوبات متعددة.

* كشف حال أعداء الله المنافقين، وهتك أستارهم للنبي ﷺ والمسلمين حتى يحذروا منهم ومن شرهم كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾.

إلى آخر الآيات من سورة البقرة، وكذلك الآيات من سورة التوبة.

* مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها، ووقوعها، وهذه الوقائع لم تحدث جملة واحدة بل وقعت تفصيلاً وتدريجاً فلا مناص إذا من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلاً، وتدريجا، كحادثة الإفك وغيرها.

وأما التدرج في التشريع: فقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة والمنكرات الماحقة، فقد بعث النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويئدون البنات ويشربون الخمر ويقتلون النفس لأتفه الأسباب، ويفعلون القبائح ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما ألفته وتعودته مرة واحدة كما يصعب رجوعها وإقلاعها عما اعتقدته بمجرد النهي عنه للعقائد والعادات سلطان على النفوس، والناس أسراء ما ألفوا ونشئوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة، وطالب بالتخلي عما هم منغمسون فيه من الكفر والجهل والمنكرات مرة واحدة لما استجاب إليه أحد.

لذلك اقتضت حكمة الله أن يتدرج القرآن في انتزاع العقائد الفاسدة فينهى أولا عن عبادة غير الله فإذا ما أقلعوا عنه، أخذ في النهي عن منكر آخر وهكذا تدرج القرآن

معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر فقد نزل فيه أول ما نزل ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ فشربها قوم وتركها آخرون ثم أنزل الله عز وجل: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ [النساء: ٤٣.]

فكانوا بعد ذلك يتركونها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى لا يأتي وقت الصلاة وما زال بعضهم متأثراً بالخمر، وبذلك صار من السهل تحريمها تحريمًا باتًا ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[المائدة: ٩٠].

قال السيوطي: بعد ذكره لبعض الآثار: ومن حكمة نزوله مفرقاً أنه أدعى لقبوله إذا نزل على التدريج بخلاف ما لونزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي يوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة ك قالت: «**إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا**».(١)

٤- **التحدي والإعجاز**: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحدّ يمتحنون بها رسول الله ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك

(١) "الإتقان"(١١٦)

كل عجيب كعلم الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾[الأعراف: ١٨٧] وكقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]. وحيث عجبوا من نزول القرآن منجمًا بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقًا مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢].ويشير لهذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس عن نزول القرآن فكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا أحدث الله لهم جوابًا، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه.

فنزوله منجمًا مفرقًا من أقوىٰ الأدلة علىٰ أنه معجز وأنه كلام الله، إذ لو أنزله الله جملة واحدة لكانت لهم حجة أن يقولوا: شيءٌ نزل علينا مرة واحدة، فلو نزل علينا مفرقاً لعارضناه فقطع الله عليهم تلك الحجة فكأنه يقول لهم: إن كنتم تقولون إنه ليس كلام الله، فأتوا بسورة مثله، أو بعشر سور، أو آية، فسجل عليهم العجز الأبدي.

ومع نزوله مفرقًا علىٰ مدىٰ بضع وعشرين سنة كان غاية في روعة الأسلوب ورصانة الألفاظ، لا تفاوت فيه، فكان بذلك معجزاً.

٥- من الحكم كذلك: الدلالة القاطعة علىٰ أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفرقا علىٰ مدىٰ عشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، ومع طول هذه الفترة، كانت تنزل منه الآية والآيات الكثيرة، والآيات القليلة علىٰ اختلاف الموضوعات ومع ذلك كان أسلوبه أسلوبًا واحدًا لم يتغير في

فصاحته وجزالته وقوته، فأسلوبه واحد، مترابط بعضه ببعض، لا انفكاك فيه متناسق الآيات والسور كأنه عقد واحد ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ فلو كان من كلام البشر وقد قيل في مناسبات كثيرة، وموضوعات مختلفة متباينة، لوقع فيه التفكك والانفصام قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ فهذا دليل واضح وبرهان ساطع أنه كلام الله، وليس بكلام البشر كما يقول بذلك بعض من زاغت قلوبهم عن الحق ومنهج السلف.

٦- من الحكم في نزوله منجماً ما نقله الزركشي: قال بعضهم إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما نزل مفرقاً، ومنه ما هو جواب لسؤال، وما هو إنكار على قول قيل، أو فِعْل فُعِل، وقد ذكر ذلك في قول ابن عباس: ونزل به جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم، وفسر به قوله تعالى: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾ [الفرقان: ٣٣].

٧- كذلك من الحكم ما ذكره الحافظ ابن حجر: ومنها أنه أنزل على سبعة أحرف فناسب أن ينزل مفرقا إذ لو نزل دفعة واحدة لشق بيانها عادة.

هذا والحِكَم التي أخذت من نزول القرآن مفرقًا منجماً كثيرة لا تكاد تحصر، وقد نثرها علماء هذا الفن في كتبهم وقد لخصنا منها ما ذكرناه سابقاً.[1]

---

(١) انظر "البرهان"(١/ ٢٣١)، "الإتقان"(١١٣-١١٥)، "فتح الباري"(٩/ ٨)"مناهل العرفان" (١/ ٣٩)، "مباحث في علوم القرآن" (٩٧-١٠٤)

المبحث الثاني:

معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن

أولا: معرفة أول ما نزل مطلقا:

حصل خلاف في أول مانزل من القرآن على الإطلاق على أربعة أقوال:

الأول: أول ما نزل قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق: ١-٥].

من الأدلة على هذا القول: ما رواه البخاري،ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال "اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق**».[(١)]

* كذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: (هي أول سورة نزلت اقرأ باسم

---

(١) سبق تخريجه.

ربك الذي خلق ثم نون)[١].

القول الثاني: أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ ... إلى قوله: ... ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ وهذا القول مروي عن جابر بن عبد الله، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

ومن الأدلة على هذا القول: ما رواه الشيخان واللفظ للبخاري عن يحيى بن أبي كثير: قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ فقلت نبئت أنه ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ فقال: «لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ «**جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل- بين السماء والأرض فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني؛ فأنزل الله: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾**»

وجاءت رواية أخرى «**فإذا الملك الذي جاءني بحراء**»[٢].

وهذا القول غير صحيح وقد رده كثير من أهل العلم:

قال الحافظ ابن حجر: أن المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة المدثر» أولية

---

(١) "المصنف"(٦/ ١٧٤) مرسل صحيح الإسناد.

(٢) سبق تخريجه.

مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار لا أنها المراد أولية مطلقة فكأن من قال: أول ما نزل اقرأ، أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال.[١] اهـ

وقال الزركشي: فقد أخبر في هذا الحديث-أي حديث جابر- عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة وأخبر في حديث عائشة أن نزول اقرأ كان في غار حراء وهو أول وحي ثم فتر بعد ذلك، وأخبر في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول يأيها المدثر فعلم بذلك أن اقرأ أول ما نزل مطلقاً، وأن سورة المدثر بعده، وكذلك قال ابن حبان في "صحيحه" لا تضاد بين الحديثين بل أول ما نزل: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ بغار حراء فلما رجع إلى خديجة رضى الله عنها وصبت عليه الماء البارد أنزل الله عليه في بيت خديجة يأيها المدثر فظهر أنه لما نزل عليه اقرأ رجع فتدثر فأنزل عليه: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾.[٢] اهـ

كذلك مما يرد هذا القول ما ذكره السيوطي واستحسنه عن الكرماني: أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، فيقدم عليه ما روته عائشة.[٣]

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فهذه الأولية التي ذكرها جابر باعتبار أول مانزل بعد فترة الوحي، أو أول مانزل في شأن الرسالة؛لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت به نبوة

---

(١) "الفتح"(٨/ ٨٦٥).

(٢) "البرهان"(١/ ٢٠٧)

(٣) "الإتقان"(٧٥)

النبي ﷺ، وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله تعالى: ﴿**قم فأنذر**﴾، ولهذا قال أهل العلم: إن النبي ﷺ نبئ بـ «اقرأ»، وأرسل بـ«المدثر».[١] اهـ

القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة وقد عزا هذا القول الزمخشري في "كشافه" إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل.

من أدلة هذا القول: ما رواه البيهقي، والواحدي عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل « أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمّد إلى ورقة بن نوفل فانطلقا فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأفق فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل:بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ »[٢]

وهذا القول مردود فلا يُعارض القول الأول وذلك:

أن الحديث ضعيف لإرساله.

---

(١) " أصول التفسير" ص(١٥١)

(٢) "دلائل النبوة"(٢/ ١٥٨)، و"أسباب النزول" ص(١٩)

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: وهذا الخبر منقطع وأثبت الأقاويل: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾، ويليه في القوة: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾، وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة.(١)

كذلك فيه عنعنة أبي إسحاق وهو مشهور بالتدليس.

وقال البيهقي: وهذا منقطع، وإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه: ﴿اقرأ﴾ و ﴿المدثر﴾.(٢)

القول الرابع: أن أول ما نزل بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

دليل هذا القول ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: «أول ما نزل من القرآن بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وأول سورة ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾»(٣).

قال السيوطي: وعندي أن هذا القول لا يعد قولاً برأسه فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة.

وقال الحافظ ابن حجر: و هذا مرسل، ولعل قائله تأول الأمر في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ وإلى ذلك أشار السهيلي فقال: ويستفاد من هذه الآية ابتداء القراءة

---

(١) "البرهان" (١/ ٢٠٦).

(٢) "الدلائل"(٢/ ١٥٩)

(٣) "أسباب النزول" ص(١٠)

بالبسملة وأما خصوص نزول البسملة سابقاً ففي صحته نظر.[١] اهـ

كذلك هذا المرسل في سنده علي بن الحسين بن واقد ضعفه أبو حاتم.

كذلك استدلوا بما ذكره الواحدي بسنده عن ابن عباس أنه قال: أول ما نزل به جبريل على النبي ﷺ قال: «**يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به.[٣]

قلت: والراوي هو بشر بن عمارة، وقد اتفقت كلمات النقاد على تضعيفه كأبي حاتم والبخاري والنسائي والدار قطني انظر ترجمته في "التهذيب".

كذلك الإنقطاع بين الضحاك وابن عباس.[٤]

فلا يصلح الإحتجاج به على أول ما نزل من القرآن.

والخلاصة من هذه الأقوال أن الراجح هو القول الأول لما سبق بيانه، وقد رجح هذا القول جمع من أهل العلم كالواحدي، وأبي بكر الباقلاني،والحافظ ابن حجر، والكرمي، والزركشي، والسيوطي، والزرقاني[٥]

---

(١) "العجاب في بيان الأسباب" (١/ ٢٢٣)

(٢) "أسباب النزول" ص(١٥)

(٣) "العجاب في بيان الأسباب"(١/ ٢٢٣)

(٤) "جامع التحصيل"(١٩٩).

(٥) "أسباب النزول" للواحدي ص(١١-١٢)"فتح الباري"(٨/ ٨٦٥)، "الناسخ والمنسوخ" للكرمي ص(٢٢٧) و"البرهان" (١/ ٢٠٧-٢٠٨)،"الإتقان"(٧٣) ، و"التحبير"(٤٩) و"مناهل العرفان" =

ثانيًا: آخر ما نزل من القرآن مطلقًا:

حصل خلاف في آخر ما نزل على أقوال وهي كما يلي:

الأول: أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٨١].

من الأدلة على هذا القول:

ما بوبه الإمام البخاري في "صحيحه" فقال: باب واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، عن ابن عباس قال: «**آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا**»[(١)].

وأخرج الطبري بسند صحيح عن ابن عباس ب قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ**﴾[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا؛ إذ هي معطوفة عليهن[(٣)].اهـ

ورجح الحافظ أن آخر مانزل: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ**﴾ كما سيأتي ذكره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أواخر ما نزل من القرآن، وقيل: إنها آخر آية

= (٦٧/١)

(١) "صحيح البخاري" برقم(٤٢٧٠)

(٢) "تفسير ابن جرير" برقم(٦٣١١)

(٣) "الفتح"(٨/ ٢٥٨)

نزلت قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١][(١)].

القول الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ودليل هذا القول أثر ابن عباس السابق.

القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وهي أطول آية في القرآن.

من أدلة هذا القول: ما أخرجه ابن جرير الطبري، من طريق ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب أنه بلغه:« **أن آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الدين**»[(٢)].

ويجاب عن هذا القول: بأن هذا الأثر ضعيف لإرساله.

كذلك يجاب عنه: بأنها آخرية مقيدة، فهي آخر ما نزل في باب المعاملات.

هذا: وقد جمع السيوطي بين هذه الأقوال الثلاثة فقال: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف،ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل واحد عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح[(٣)].

القول الرابع: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾

---

(١) "منهاج السنة"(٥/ ٢٩٢)

(٢) "تفسير ابن جرير" برقم(٦٣١٦)

(٣) "الإتقان" ص(٨١)

وآخر ما نزل من السور براءة، ويدل على هذا ما رواه البخاري عن البراء بن عازب س أنه قال: «آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء من حديث البراء: «**آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾**». فيجمع بينه وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً بخلاف آية البقرة ويحتمل عكسه والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول.

وقال الحافظ: وأما الآية الأخرى وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فسيأتي في آخر تفسير هذه السورة أنها من آخر ما نزل، فكأن الكلالة لما كانت مجملة في آية المواريث استفتوا عنها فنزلت الآية الأخيرة[(٢)].

* كذلك يجاب عنه بأن المراد آخر مانزل خاتمة لسورة النساء كما ورد في رواية ابن جرير الطبري، عن البراء رضي الله عنه قال: «**آخر سورة نزلت كاملة براءة، وآخر آية، نزلت خاتمة سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾**».[(٣)]

---

(١) "صحيح البخاري" برقم(٤٦٠٥)

(٢) "الفتح"(٨/ ٢٥٨)

(٣) "تفسير ابن جرير" برقم(١٠٨٧٣) وسنده حسن.

القول الخامس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣] ويدل لهذا القول ما رواه البخاري، ومسلم، عن ابن عباس ب قال: نزلت هذه الآية ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾، هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء»[(١)].

ويجاب عن ذلك: بما قاله الحافظ ابن حجر:وقوله: هي آخر ما نزل أي في شأن قتل المؤمن عمداً بالنسبة لآية الفرقان.[(٢)]

القول السادس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [براءة: ١٢٨]. إلى آخر سورة براءة.

من الأدلة على هذا القول ما رواه الحاكم، والبيهقي، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ إلى آخر السورة.[(٣)]

وأخرج الطبري عن أبي بن كعب س قال: أحدثُ القرآن عهدًا بالله هاتان الآيتان: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾، إلى آخر الآيتين[(٤)].

---

(١) "صحيح البخاري" برقم(٤٣١٤)، و"صحيح مسلم" برقم (٣٠٢٣)

(٢) "الفتح"(٨/ ٣٢٥)

(٣) "المستدرك" برقم (٣٢٩٦) ، "الدلائل"(٧/ ١٣٩)

(٤) "تفسير ابن جرير" برقم(١٧٥١٦)

ويُرَدّ على هذا القول بأمور:

أولاً:الأثران عن أبي بن كعب ضعيفان؛ لأن في سندهما علي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث، ويوسف بن مهران قال الحافظ في "التقريب":هذا لم يرو عنه إلا ابن جدعان وهو لين الحديث.

ثانياً: يجاب عنه أنها آخر ما نزل من سورة براءة.

قال الزركشي: قال القاضى أبو بكر فى "الانتصار" وهذه الأقوال ليس فى شىء منها ما رفع إلى النبى ﷺ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن وليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط.

ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ فى اليوم الذى مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ونزول الوحى عليه بقرآن بعده

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التى آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب.[1] اهـ

---

(١) "البرهان"(١/ ٢١٠).

المبحث الثالث: أسباب نزول القرآن

أولاً: تعريف سبب النزول:

قال السيوطي: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه.

قال: وقولنا: «أيام وقوعه» ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة؛ فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح، وعاد، وثمود، وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.[(١)]

وقال مناع القطان: هو ما نزل بشأنه قرآن كحادثة أو سؤال[(٢)].

ثانيا: أقسام النزول

قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين:

١- **ابتدائي**: وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه وهو غالب آيات القرآن.

٢- **سببي**: وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه.

والسبب: إما سؤالٌ يجيب الله عنه، أو حادثةٌ وقعت تحتاج إلى بيان، أو فعلٌ واقعٌ

---

(١) "الإتقان" ص(٩٠).

(٢) "مباحث في علوم القرآن" .

يحتاج إلى معرفة حكمه.[١]

ثالثا: طريقة معرفة سبب النزول:

قال الواحدي رحمه الله: ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدَّوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار، وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن . فقال: اتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن، وأما اليوم فكل أحدٍ يخترع شيئاً ويختلق إفكاً وكذباً ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب، لينتهي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب.[٢] اهـ

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ الآية.

---

(١) نقله السيوطي عن الجعبري كما في "الإتقان" ص(٨٤) وذكره الشيخ ابن عثيمين في"أصول التفسير" ص(١٥٣)

(٢) "الأسباب" ص(٤)

وقال الحاكم: بعد ذكره لحديث جابر بن عبد الله قال: «**كانت اليهود تقول من أتى إمرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾** الآية. قال: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند.[(١)] اهـ

ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الإصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند.[(٢)]

فالصحابة كانوا علماء مجتهدين في معرفة سبب النزول ولذلك ورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو كنت أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه ».

---

(١) "علوم الحديث" ص(١٤٩)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٤٠).

وأما قول التابعي: نزلت الآية في كذا فهو مرسل،فإن تعددت طرقه قبل وإلا فلا على الراجح عند المحدثين.

قال السيوطي: ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل فقد يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسيرالآخذين عن الصحابة كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.[1] اهـ

رابعا:صيغة سبب النزول:

صيغة سبب النزول على قسمين: صريحة ومحتملة.

* **فالصيغة الصريحة في ذكر السبب**: هو ما صرح فيه الصحابي بقوله: سبب نزول هذه الآية كذا، أو يذكر الحادثة أو السؤال ثم يقول: فنزل قول الله تعالى، أو فنزلت الآية، وهو غالب ما ورد في سبب النزول.

* **والصيغة المحتملة**: وهو أن يقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا .

مثال ذلك: عن عروة بن الزبير، عن أبيه، أنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى النبي ﷺ في شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبي ﷺ للزبير: اسق ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان

(١) " لباب النقول في أسباب النزول"(١٥)

ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فاستوفى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة للأنصاري وله، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله استوفى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجاً مِّمّا قَضَيتَ وَيُسَلِموا تَسليماً﴾**[1].

* **كذلك من الصيغ المحتملة قول الرواي**: نزلت هذه الآية في كذا فقد تكون يراد بها السبب وقد يراد بها أنه داخل في معنى الآية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقولهم: «نزلت هذه الآية في كذا» يراد به تارة أنه سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا.[2] اهـ

وقال الزركشي: وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها، وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند كما في قول ابن عمر في

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨٧) ومسلم برقم(٤٣٤٧)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٤٠)

قوله تعالى: ﴿**حرث لكم**﴾، وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند، وكذلك مسلم وغيره وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع.(١)

(١) "البرهان" (١/ ٣٩)

خامسا:تعدد الأسباب و النازل واحد

* إذا وردت روايتان إحداهما نص في السببية والأخرىٰ ليست نصاً بل محتملة فنأخذ بما هو نص في السببية، ونحمل الأخرىٰ علىٰ أنها بيان لمدلول الآية؛لأن النص أقوىٰ من المحتمل.

قال السيوطي: وإن عبر واحد بقوله: نزلت في كذا، وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد، وذاك استنباط مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر ب قال: «أنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ في إتيان النساء في أدبارهن» وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه فالمعتمد حديث جابر؛ لأنه نقل وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهمه فيه ابن عباس وذكر مثل حديث جابر كما أخرجه أبو داود والحاكم.[1] اهـ

* أما إذا كان الروايتان تحتملان السببية، وليستا نصاً فيهما، وكان اللفظ يتناولهما، ولا قرينة تصرف إحداهما إلىٰ السببية؛فإن الروايتين تحملان علىٰ بيان ما يتناوله من المدلولات، ولا وجه لحملها علىٰ السبب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقول أحدهم: نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا إذا كان اللفظ يتناولهما، كما ذكرنا في التفسير بالمثال.اهـ[2]

---

(١) "الإتقان" ص(٩١)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٤٠)

أما إذا كان الإختلاف في عبارتين هما نصاً في السببية فيكون على ما يلي:

* إما أن تكون إحداهما صحيحة، والأخرىٰ غير صحيحة.

* وإما أن تكون كلتا الروايتين صحيحة ولأحدهما مرجح.

* وإما أن تكون كلتاهما صحيحة، ولا مرجح لأحدهما علىٰ الأخرىٰ، ولكن يمكن الأخذ بهما معاً.

* وإما أن تكون كلتاهما صحيحة، ولا مرجح، ولا يمكن الأخذ بهما معاً.

فهذه الصور لكل واحدة منها حكم خاص.

أما الصورة الأولى: أن تكون إحدىٰ الروايتين صحيحة، والأخرىٰ غير صحيحة فحكمها الإعتماد علىٰ الصحيحة في بيان السبب، ورد الأخرىٰ غير الصحيحة.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله «أنه ﷺ اشتكىٰ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امراة فقالت: ما أرىٰ شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: **﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**»[1].

مع ما أخرجه الطبراني والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف «عن حفص بن سعيد القرشي، عن أمه، عن أمها، وكانت خادم رسول الله ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير، ومات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني فقلت في نفسي لو

(١) أخرجه البخاري برقم(١٠٧٣) ومسلم برقم(١١٥)

هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَالضُّحَى﴾»[١].

فالمعتمد في سبب نزول الآية الرواية الأولى؛ لأنها صحيحة، أما الثانية وإن كانت مشهورة لكنها غير صحيحة لوجود الجهالة في سندها.

قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح[٢].

وورد سبب آخر لنزول هذه الآية كما قال الحافظ ابن حجر:ورد لذلك سبب ثالث وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقالوا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾، ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير قال: فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه فقال: لقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني فجاء جبريل بسورة والضحى، وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: وفتر الوحي فقالوا: لو كان من عند الله لتتابع، ولكن الله قلاه فأنزل الله: ﴿**والضحى**﴾، ﴿**وألم نشرح**﴾ بكمالهما.

وكل هذه الروايات لا تثبت والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" برقم(٦٣٦) والواحدي في "الأسباب" ص(٣٠٢)

(٢) "الفتح"(٨/ ٧١٠)

غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي فإن تلك دامت أياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا فاختلطتا على بعض الرواة.[١] اهـ

أما الصورة الثانية: أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، ولأحدهما مرجح، فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة، والمرجح: أن تكون إحداهما أصح من الأخرى،أو يكون رواي إحداهما مشاهداً للقصة دون رواي الأخرى.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: « كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لو سألتموه فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾»[٢].

مع ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل يريدون النبي ﷺ.[٣]

فالأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار وأنها نزلت بمكة.

والرواية الأولى أرجح لأمرين:

أ – أنها من رواية البخاري.

---

(١) "الفتح" (٨/ ٧١٠)

(٢) أخرجه البخاري برقم(١٢٢)، ومسلم برقم(٥٠٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي برقم(٣١٤٠) وصححه الألباني رحمه الله.

قال الحافظ ابن حجر: بعد ذكره للروايتين:

ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح.[(١)] اهـ

ب - أن الراوي في الأولى وهو ابن مسعود حاضر للقصة ومشاهد لها بينما ابن عباس الذي هو الراوي في الثانية لم يثبت أنه كان مشاهداً لها.

قال السيوطي: وقد رُجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعود كان حاضراً القصة[(٢)].

أما الصورة الثالثة: أن تتساوى الروايتان في الصحة، ولا مرجح لأحدهما، لكن يمكن الجمع بينهما،بأن كُلاً من السببين حصل، ونزلت الآية عقب حصولهما معاً لتقارب زمنيهما، فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب؛لأنه الظاهر، ولا مانع يمنعه كما قال الحافظ ابن حجر:ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس ب «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «**البينة أو حد في ظهرك**» فقال: يا رسول الله إذا وجد أحدنا مع امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول البينة أو حدّ في ظهرك فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق،

---

(١) "الفتح"(٨/ ٤٠١)

(٢) "الإتقان" ص(٩٣)

ولينزلن الله ما يبرئ ظهري فأنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ ... الآية»[١].

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد س قال: « جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل رسول الله ﷺ أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع به؟ فسأل عاصم رسول الله فكره رسول الله ﷺ فأخبر عاصم عويمراً فقال: والله لآتين رسول الله ﷺ ولأسألنه فقال: **إنه قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك القرآن** »[٢].. الحديث.

قال النووي رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف بين العلماء في سبب نزول الآية قال: ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً فلعلهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان فيصدق أنها نزلت في هذا وفي ذاك وأن هلالاً أول من لاعن والله أعلم.[٣]

قال الحافظ ابن حجر: وسبقه [أي النووي] الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاآ في وقت واحد.[٤]

وقال الحافظ: وظهر لي الآن احتمال أن يكون عاصم سأل قبل النزول ثم جاء هلال بعده فنزلت عند سؤاله فجاء عويمر في المرة الثانية التي قال فيها: أن الذي سألتك عنه

---

(١) أخرجه البخاري(٤٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٦٧٦٠)، ومسلم برقم(٢٧٤١).

(٣) "شرح مسلم"(١٠/ ١٢٠)

(٤) "الفتح"(٨/ ٤٥٠)

قد ابتليت به فوجد الآية نزلت في شأن هلال فأعلمه ﷺ بأنها نزلت فيه يعني أنها نزلت في كل من وقع له ذلك لأن ذلك لا يختص بهلال.[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا ذكر أحدهم لها سبباً نزلت لأجله، وذكر الآخر سبباً فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب ومرة لهذا السبب.اهـ

وأما الصورة الرابعة: وهي استواء الروايتين في الصحة دون مرجح لأحدهما ودون إمكان للأخذ بهما معاً لبعد الزمان بين الأسباب، فحكمها أن نحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول التي تحدثت عنها هاتان الروايتان، أو تلك الرويات؛لأنه إعمال لكل رواية ولا مانع منه.وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الصورة الثالثة: أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب.

ولذلك قال الزركشي: وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه.اهـ ثم ذكر أمثلة على ذلك[٢].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله: في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ لما ذكر الروايتين قال: ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح.[٣] اهـ

---

(١) "الفتح"(٩/ ٤٥٠)

(٢) "البرهان"(١/ ٣٨)

(٣) "الفتح"(٨/ ٤٠١)

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ بعد أن ذكر حديث ابن مسعود: وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي: أن هذه الآية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود، عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكية. وقد يجاب عن هذا: بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه.اهـ

ونقل السيوطي عن ابن الحصار قال: قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل وأول سورة الروم.(١)

مثال الحالة الرابعة: ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ قال ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس»(٢).

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس ما يدل على أنها نزلت بمكة، وذلك في قصة الرهان المشهورة التي وقعت بين أبي بكر وبين المشركين.

وهذا صريح في أنها نزلت بمكة قبل الهجرة، وقد كان بين النزولين سنون، وهما خبران الأول صحيح والثاني حسن حسنه الألباني رحمه الله، والعبارة فيهما صريحة في سبب النزول فيحمل على تعدد النزول.

---

(١) "الإتقان" ص(٩٩)

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٣١٩٢) وصححه الألباني رحمه الله في "صحيح سنن الترمذي".

وأما ما أخرجه البزار عن أبي هريرة س «أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال: «**لأمثلن بسبعين منهم مكانك**» فنزل جبريل بقوله ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**﴾»[(١)].

وما أخرج الترمذي عن أبيّ بن كعب س قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنربين عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله سبحانه: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا**﴾ الآية[(٢)].

قال صاحب "المدخل لعلوم القرآن": فالأولى تفيد أن الآيات نزلت عقب أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح، وبين الفتح وأحد حوالي خمس سنين. إلى أن قال فلا مناص من القول بتعدد النزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح.[(٣)] اهـ

والصواب في ذلك: أنها نزلت يوم الفتح كما في حديث أبي بن كعب وهو صحيح، وصححه الألباني رحمه الله.

أما حديث أبي هريرة فضعيف؛ في سنده صالح بن بشير المري. قال فيه البخاري: منكر الحديث. وضعفه الحافظ ابن حجر، وابن كثير، والألباني رحمهم الله.

تنبيه: قد أنكر بعض أهل العلم مسألة تعدد النزول بأنه لا تتضح الحكمة من تكرار

---

(١) "كشف الأستار" برقم(١٧٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٣١٢٩).

(٣) "المدخل لعلوم القرآن"(١/ ١٣٨).

النزول، وذهبوا إلى الترجيح بين الروايات وقد ذكر هذا السيوطي في "الإتقان" عن صاحب كتاب "الكفيل بمعاني التنزيل" وهو عماد الدين الكندي، وقال بهذا القول مناع القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن".

وقد رد هذا القول السيوطي فقال: وهو مردود بما تقدم من فوائده .اهـ

وقال الزرقاني: أن هناك حكمة عالية في هذا التكرار وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طي تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة والفوائد الجمة التي هم في أشد الحاجة إليها.

فخواتيم سورة النحل التي معنا مثلا نلاحظ أن الحكمة في تكرارها هي تنبيه الله لعباده أن يحرصوا على العمل بما احتوته من الإرشادات السامية في تحري العدالة وضبط النفس عند الغضب ومراقبة الخالق حتى في القصاص من الخلق والتدرع بالصبر والثبات،والاعتماد على الله والثقة بتأييده ونصره لكل من اتقاه وأحسن في عمله جعلنا الله منهم أجمعين آمين.[1] اهـ

والقول بالتعدد أولى من القول بالترجيح؛ لأن الجمع مطلوب ما أمكن، ذلك أن في الترجيح إهداراً لبعض الروايات.

وقال السخاوي في "جمال القراء" بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: إن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد،

---

(١) "مناهل العرفان"(١/ ٨٦)

ونزلت في الثانية ببقية وجوهها، نحو ملك ومالك، والسراط والصراط ونحو ذلك.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك قول من قال: الفاتحة لم تنزل إلا بالمدينة غلط بلا ريب، و لو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك لكان من قال إنها مكية معه زيادة علم، و سورة قل هو الله أحد أكثرهم على أنها مكية، و قد ذكر في أسباب نزولها سؤال المشركين بمكة و سؤال الكفار من أهل الكتاب و اليهود بالمدينة ولا منافاة فإن الله أنزلها بمكة أولاً ثم لما سئل نحو ذلك أنزلها مرة أخرى، و هذا مما ذكره طائفة من العلماء و قالوا: إن الآية أو السورة قد تنزل مرتين و أكثر من ذلك فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقاً و المراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب و إن كان الرسول يحفظها قبل ذلك.[1] اهـ

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى القول بتعدد النزول كما ذكرنا سابقاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والزركشي، والحافظ ابن حجر، والنووي، وابن كثير وغيرهم.

ومما يدل على بطلان هذا القول أنه لا يعرف له قائل من السلف، إنما قاله بعض المتأخرين وتبنوه، بل جاءت أدلة نبوية تدل على تكرار نزول القرآن منها:

حديث الرسول ﷺ أنه قال: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كاف**»، فإن هذا الحديث يدل على أن القرآن تكرر نزوله، وتقرير ذلك: إن القرآن أول ما نزل لم

(١) "مجموع الفتاوى"(١٧/ ١٩١)

ينزل على سبعة أحرف، إنما نزل على حرف من هذه الأحرف ثم في كل مرة ينزل على حرف آخر كما تفيده روايات هذا الحديث فإنه يقول: «**نزل عليَّ جبريل بالقرآن فأقرأني إياه على حرف فاستزدته فزادني حرفاً**»، فإنه يدل على تكرار النزول .

سادسا: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

هذه مسألة تكلم فيها أهل العلم وهي: إذا كان السبب خاصاً ونزلت الآية بصيغة العموم هل تكون الآية خاصة بمن نزلت فيه أم تكون عامة له ولغيره؟

* ذهب جمهور أهل العلم إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تكون عامة وشاملة لسببها ولكل ما يتناوله لفظها؛ لأن القرآن نزل تشريعاً عاماً لجميع الأمة، وهذا هو الراجح.

مما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود :أن رجلا أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ . فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت في كذا لا سيما إن كان المذكور شخصا كأسباب النزول المذكورة في التفسير كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت، وإن آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني أو هلال بن أمية وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبدالله،وأن قوله: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ نزلت في بني قريظة والنضير وإن قوله: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾نزلت في بدر، وإن قوله: ﴿**شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ نزلت في قضية تميم الداري وعدي بن بداء وقول أبي أيوب إن قوله: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ نزلت فينا معشر الأنصار الحديث ونظائر هذا كثير مما يذكرون أنه نزل في قوم

من المشركين بمكة أو فى قوم من أهل الكتاب اليهود والنصارى أو فى قوم من المؤمنين.

فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق والناس وإن تنازعوا فى اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ **فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين** وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، والآية التى لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهى متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهى متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضاً.[(١)] اهـ

قال السيوطي: ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعاً ذلك بينهم.[(٢)]

* وذهب جماعة إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ فاللفظ العام دليل على صورة السبب الخاص، ولا بد من دليل آخر لغيره من الصور كالقياس ونحوه حتى يبقى لنقل رواية السبب الخاص فائدة. وهذا قول مرجوح لما ذكرناه سابقاً.

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٣٩)

(٢) "الإتقان"(٨٧)

سابعا: فوائد معرفة أسباب النزول:

١- إدراك حكم التشريع، ومعرفة مقاصد الشريعة، وكيف أن الأحكام الشرعية كانت مناسبة للواقع، ومسايرة للحدث وفي ذلك فائدة للمؤمن وغير المؤمن.

أما المؤمن فيزداد إيماناً وبصيرة بحكمة الله في تشريعه فيدعوه ذلك إلى شدة التمسك بها،وأما غير المؤمن؛ فيعلم أن الشرع قام على رعاية المصلحة، وجلب المنفعة، ودفع المضرة فيدعوه ذلك إن كان منصفاً إلى الدخول في الإسلام.

٢- الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها.

فقد قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[(١)] اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالمسبب يورث العلم بالسبب.[(٢)] اهـ

وقال ابن دقيق العيد كما نقله السيوطي في "الإتقان": بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.[(٣)]

ونقل الزركشي عن أبي الفتح القشيري قال: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم

---

(١) "الأسباب" ص(٨)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٣٩)

(٣) "الإتقان" ص(٨٥)

معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا.[١]

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري: عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره: أن مروان قال لبوابة اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لا يفعل معذبا لنعذبن أجمعون . فقال ابن عباس وما لكم ولهذه إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿**وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ**﴾ - كذلك حتى قوله - ﴿**يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ**﴾»[٢].

فهنا حصل الإشكال لمروان حتى بين له ابن عباس أن المراد بالآية أهل الكتاب فزال الإشكال وفهم مراد الله من كلامه ووعيده.

٣- بيان أن القرآن نزل من الله تعالى، وذلك لأن النبي ﷺ يسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحياناً حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفى عليه الأمر الواقع فينزل الوحي مبيناً له.

مثال الأول: ما سبق ذكره في سؤال اليهود لرسول الله ﷺ عن الروح فسكت حتى نزل عليه الوحي.

---

(١) "البرهان"(١/ ٣٣)

(٢) أخرجه البخاري برقم(٤٢٩٢) ومسلم برقم(٢٧٧٨)

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ**﴾ ففي صحيح البخاري ومسلم، عن زيد بن أرقم عن زيد بن أرقم قال :كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد».[(١)] اهـ

٤-معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البرئ ويبرأ المريب.

مثال ذلك: ما ردت عائشة به على مروان حين اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه آية ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا**﴾.

فقد ورد في "صحيح البخاري" عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا**﴾ . فقالت عائشة من

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٩٠٠) ومسلم برقم(٢٧٧٢)

وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»[(١)].

٥- بيان عناية الله برسوله ﷺ في الدفاع عنه.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾[الفرقان: ٣٢] وكذلك آيات الإفك فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ وتطهير له عما دنسه به الأفاكون.اهـ

٦- بيان عناية الله بعباده بتفريج كرباتهم وإزالة غمومهم.

مثال: آية التيمم كما ورد في صحيح البخاري، ومسلم: أنه ضاع عقد لعائشة وهي مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأقام النبي ﷺ على طلبه، وأقام الناس على غير ماء فشكوا ذلك إلى أبي بكر- فذكر الحديث، وفيه: فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير: ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[(٢)].

٧- تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها؛وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر.

٨- ومنها رجاء الإستفادة من مراحل التشريع في الدعوة إلى الله ففي أسباب

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٥٥٠)

(٢) أخرجه البخاري برقم(٣٣٤) ومسلم برقم(٣٦٧)

النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتداراً عليه إلى غير ذلك.

وهناك غير هذه الفوائد ذكرها أهل العلم في كتبهم فتراجع[1]

ثامنا: المصنفات في أسباب النزول:

ذكر صاحب "المحرر في أسباب النزول": أن أول من صنف في الأسباب هو ميمون بن مهران ت ١١٧هـ في كتابه «تفصيل لأسباب التنزيل» وهو مازال مخطوطاً. كذلك ممن صنف في هذا علي بن المديني شيخ الإمام البخاري، وكذلك الواحدي صنف كتاب "الأسباب"، وابن حجر في كتابه "العجاب في بيان الأسباب"، والسيوطي في كتابه "لباب النقول في أسباب النزول"، وشيخنا مقبل الوادعي صنف كتاب "الصحيح المسند من أسباب النزول"، وكذلك الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسى نصر جمعا كتاباً في هذا بعنوان "الإستيعاب في بيان الأسباب".

(١) "البرهان"(١/ ٣٣)،"الإتقان"(٨٤-٨٦)"أصول التفسير "للعثيمين (١٦٠)"مناهل العرفان" (١/ ٧٨) "المقدمات الأساسية في علوم القرآن" ص(٤٨-٤٩)

المبحث الرابع: نزول القرآن على سبعة أحرف

أولا: الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

إن حديث «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» جاء عن كثير من الصحابة حتى ذكر بعض العلماء عنه التواتر، وممن قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر السيوطي: أنه جاء عن واحد وعشرين من الصحابة .(١)

نذكر شيئا منها:

١- ما أخرجه البخاري مسلم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قَال النبي ﷺ « **أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ** »، قال ابن شهاب: وهو راوي الحديث بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا يختلف في حلال ولا حرام .(٢)

٢- وأخرج البخاري، ومسلم:عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ فَقُلْتُ" كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا

---

(١) "الإتقان"(١٢٣)

(٢) "صحيح البخاري" برقم(٤٧٠٥) ، و"صحيح مسلم" برقم(٢٧٢).

قَرَأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ**» فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ**» ثُمَّ قَالَ: «**اقْرَأْ يَا عُمَرُ**» فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»(١).

٣- وأخرج مسلم في "صحيحه": عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قراءة صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قراءة صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي: «**يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ**»(٢).

---

(١) "صحيح البخاري" برقم(٤٧٠٦)، و "صحيح مسلم" برقم(٢٧٠)

(٢) "صحيح مسلم" برقم(٢٧٣)

٤- وأخرج مسلم في "صحيحه" عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللهَّ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللهَّ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللهَّ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جاءه الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا**»[(١)].

٥- وعن أبي بن كعب قَالَ « **لَقِيَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ جِبْرِيلَ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ** »[(٢)]

والأحاديث في هذا الباب مستفيضة متكاثرة ذكر معظمها ابن جرير رحمه الله في مقدمة تفسيره.

ثانيا: ما المراد بالأحرف السبعة؟

١-**المراد بالحرف في اللغة**: الحرفُ من كل شيء طرفه، وشفيره، وحَدُّه، ومن الجبل أعلاه المحدد، وواحد حروف التهجي، والناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة، وعند

(١) "صحيح مسلم" برقم(٢٧٤)

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" وصححه العلامة الألباني في "صحيح سنن الترمذي" برقم(٢٩٤٤).

النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[١].

والحرف الأداة التي تسمي الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما .

قال الأزهري: كل كلمة بُنيت أداةً عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حرف وإن كان بناؤها بحرفين أو فوق ذلك مثل: حتى، وهل، وبل، ولعل، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفًا، تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود[٢].

وقال ابن سيده: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف أراد بالحرف اللغة.[٣]

٢- **المراد بالأحرف السبعة**: حصل خلاف كبير بين أهل العلم في تفسير الأحرف السبعة أوصلها بعض أهل العلم إلى خمسة وثلاثين قولاً كما قاله ابن حبان، وأوصلها السيوطي في "الإتقان" إلى أربعين قولًا، وذكر الزركشي في كتابه "البرهان" شيئاً منها، وأكثر هذه الآراء متداخلة وهي من المباحث الشائكة التي زلت فيها أقدام بعض العلماء، واستعصى الفهم فيه على بعض العلماء، ولاذ البعض بالفرار منه، وكثر فيه القيل والقال، والحديث عنه ضروري لصلته الكبرى بنزول القرآن فاختصرته وذكرت

---

(١) "القاموس" ص(١٠٣٢).

(٢) "تهذيب اللغة"(٥/ ١٢).

(٣) "المحكم والمحيط الأعظم"لابن سيده(٢/ ٢١).

القول الراجح.

القول الأول: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد يعني سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، فإن هذه ألفاظ سبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد وهو طلب الإقبال وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير الطبري، وابن وهب،والطحاوي، وغيرهم،ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء.

قال القرطبي: وهو أحسنها إن شاء الله تعالى، وهو الذي عليه أكثر أهل العلم.[١] اهـ

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ.[٢] اهـ

وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات بل المراد: غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع.

القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فهو

---

(١) "تفسير القرطبي"(١/ ٤٢)

(٢) "شرح مشكل الآثار"(٨/ ١٢٥)

يشتمل في مجموعه على اللغات السبع، وذهب إلى هذا أبو عبيد القاسم بن سلام، وثعلب، والأزهري وآخرون، واختاره ابن عطية، وصححه البيهقي في "الشعب".[١]

قال أبو عبيد: ليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك يبين في آحاديث تترى.[٢] اهـ

ويرد هذا القول: ما ورد في قصة عمر مع هشام بن حكيم فقد اختلفا في الحروف وكلاهما قرشي.

القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر، والنهي، والحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال.

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال**».

---

(١) "شعب الإيمان" للبيهقي(٢/ ٤٢١)

(٢) "فضائل القرآن" لأبي عبيد ص(٣٣٩)

وهذا القول غير صحيح، ويرده أن الأحرف السبعة بدلالة النصوص الواردة فيها إنما هي بقراءة الكلمة الواحدة على وجهين فأكثر، والكلمة الواحدة لا تكون أمراً ونهياً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً ومثلاً،بل في هذا ضم النقيض إلى النقيض.

وأما حديث ابن مسعود فلم يثبت. قال ابن عبد البر: وهذا الحديث عند أهل العلم لا يثبت... وفيه أبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران...إلخ[1]

القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي:

(١) اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما، كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ قرئ: ﴿**لأماناتهم**﴾ بالجمع، وقرئ: ﴿**لأمانتهم**﴾ بالإفراد، ورسمها في المصحف ﴿**لأمنتهم**﴾ يحتمل القراءتين لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنى واحد فيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة، أي جنس الأمانة.

(٢) الاختلاف في وجوه الإعراب كقوله تعالى: ﴿**مَا هَذَا بَشَرًا**﴾[يوسف: ٣١]. قرأ الجمهور بالنصب على أن "ما" عاملة عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل

(١) "التمهيد"(٨/ ٢٧٥)

القرآن، وقرأ ابن مسعود: ﴿**مَا هَذَا بَشَرٌ**﴾ بالرفع على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل "ليس".

(٣) الاختلاف في التصريف: كقوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾ قرئ بنصب "ربَنا" على أنه منادى مضاف "وبَاعِدْ" بصيغة الأمر وقرئ "ربُنا" بالرفع، "وبَاعَد" بفتح العين على أنه فعل ماض.

(٤) الاختلاف بالتقديم والتأخير، إما في الحرف كقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ**﴾ [الرعد: ٣١]. وقرئ: ﴿**أفلم يأيس**﴾، وإما في الكلمة كقوله تعالى: ﴿**فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾[التوبة: ١١١]. بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني.

(٥) الاختلاف بالإبدال سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا**﴾[البقرة: ٢٥٩]. قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ كقوله تعالى: ﴿**كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾ قرأ ابن مسعود وغيره: ﴿**كالصوف المنفوش**﴾ .

(٦) الاختلاف بالزيادة والنقص فالزيادة كقوله تعالى: ﴿**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ**﴾ قرئ: ﴿**من تحتها الأنهار**﴾ بزيادة من، وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا**﴾[البقرة: ١١٦]. بدون واو وقراءة الجمهور: ﴿**وقالوا اتخذ الله ولدًا**﴾ بالواو.

(٧) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإتمام ونحو ذلك.

كالإمالة وعدمها في مثل قوله: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾[طه: ٩]. قرئ بإمالة "أتى" "موسى"، وترقيق الراء في قوله: ﴿**خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ وتفخيم اللام في: ﴿**الطَّلَاق**﴾، وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ وإشمام الغين ضمه مع الكسر في قوله: ﴿**وَغِيضَ الْمَاءُ**﴾[هود: ٤٤].

وهذا القول يرده أن أكثر هذه الوجوه في المصحف العثماني الذي عليه قراءات القراء، مع أن جمع عثمان رضي الله عنه إنما كان في الإبقاء على حرف من السبعة، وما كان منها موافقاً للرسم دون سائرها، وذلك درءاً للفتنة باختلاف الحروف، فإن كانت تلك الحروف لا زالت جميعاً موجودة في المصحف فلا معنى إذاً لما صنع عثمان.

كما ترده الأحاديث المفسرة في الأحرف السبعة، كحديث أبي بن كعب المتقدم.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

وهذا القول مردود وغير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر كلاماً كثيراً على الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات: فتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها وذلك باتفاق علماء السلف والخلف[(١)].

وقال في موضع آخر:لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة بل أول من

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٤٠٠)

جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد.[١] اهـ

قال السيوطي: وتُعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل: ﴿**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾[المائدة: ٦٠] و ﴿**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾[الإسراء: ٢٣].[٢]

ونقل السيوطي عن المرسي أنه قال: وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع، وهو جهل قبيح.[٣] اهـ

* وقد رجح كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد. كما قال ابن مسعود: (إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال)[٤].

فقد بينت الأحاديث المتواترة الواردة فيه أنه اختلاف حروف لا اختلاف معاني

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٠)

(٢) "الإتقان" ص(١٢٤)

(٣) "الإتقان" ص(١٣٣)

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" برقم(٣٤)، وأبو عبيد في "الفضائل" ص(٣٦١)، وابن جرير في "تفسيره"(١/ ٢٢)، والبيهقي في "السنن"(٢/ ٣٨٥) من طريق الأعمش،عن أبي وائل، وسنده صحيح.

مقصود به رفع الحرج عن التالين من أصحاب الألسنة المختلفة، والإنسان قد يجري في استعماله لفظ «هلم» مثلاً بدل «أقبل» ويجده بالاعتياد أيسر عليه، فرفع الحرج في مثل ذلك بنزول القرآن على الحروف المختلفة الجارية في الاستعمال مادام المعنى متفقاً غير متخالف، ومنه كذلك تقديم لفظ أو تأخيره والمعنى متحد.

ثالثا: أنواع الاختلاف في الأحرف السبعة:

قال ابن الجزري رحمه الله: إن الاختلاف المشار إليه اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾[النساء:٨٢]، وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد، كالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

نحو:(مالك، وملك)؛لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى؛لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا: (يكذِبون، ويكذِّبون)؛ لأن المراد بهما هم المنافقون؛ لأنهم يكذِّبون بالنبي ﷺ، ويَكْذِبون في أخبارهم، وكذا: ﴿**كيف ننشرها**﴾ بالراي والزاي؛لأن المراد بهما هي العظام، وذلك أن الله أنشرها أي أحياها، وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى الْتَأَمَتْ فضمن الله المعنيين في القراءتين.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

نحو قوله تعالى: ﴿**وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ**﴾ بالتشديد والتخفيف، وكذا قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ**﴾ بضم التاء وفتحها في علمت.

فأما وجه تشديد(كذبوا) فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، ووجه التخفيف: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به، فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

وأما وجه ضم التاء في (علمتُ)؛ فإنه أسند العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون حيث قال: ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾فقال موسى على نفسه: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ**﴾فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك، أي أن العالم بذلك ليس بمجنون، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم لفرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع لشدة معاندته للحق بعد علمه.(١)

رابعًا: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟

قال ابن الجزري رحمه الله: الاختلاف يتوجه على أنحاء ووجوه متنوعة مع السلامة من التناقض والتضاد وهي:

١- منها ما يكون لبيان حكم مجمع كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره: ﴿**وله أخ أو أخت من أم**﴾ فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا الإخوة لأم، وهذا أمر مجمع عليه.

---

(١) "النشر"(١/ ٤٩-٥٠)بتصرف يسير.

٢- ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه كقراءة: ﴿**أو تحرير رقبة مؤمنة**﴾ في كفارة اليمين، فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره، ولم يشترطه أبو حنيفة رحمه الله.

٣- ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة: ﴿**يَطْهُرْنَ**﴾بالتخفيف، والتشديد ينبغي الجمع بينهما وهو: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

٤- ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة: ﴿**وأرجلكم**﴾بالخفض والنصب، فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبينهما النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره.

٥- منها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة: ﴿**فامضوا إلى ذكر الله**﴾ فإن قراءة: ﴿**فاسعوا**﴾ يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه.

٦- منها ما يكون مفسراً لما لعله لا يعرف مثل قراءة: ﴿**كالصوف المنفوش**﴾.

٧- منها ما يكون حجة لأهل الحق، ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة: ﴿**ومَلِكَاً كبيراً**﴾ بكسر اللام، وردت عن ابن كثير وغيره، وهي أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

٨- ما يكون حجة بترجيح لقول بعض العلماء كقراءة: ﴿**أو لمستم النساء**﴾إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى: ﴿**فلمسوه بأيديهم**﴾ أي مسوه، ومنه قوله

ﷺ:«لعلك قبلت أو لَمست».

٩- ومنها ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة: ﴿**والأرحامِ**﴾ بالخفض، و﴿**ليُجزى قوماً**﴾على ما لم يسم فاعله مع النصب.[١] اهـ

خامسا: الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية:

حصل خلاف بين أهل العلم في بقاء الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أن المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة، ولم تهمل منها حرفاً واحداً. وهو ما ذهب إليه جماعات من القراء والفقهاء والمتكلمين، واختاره الداني، والجعبري، والباقلاني، وابن حزم، والسخاوي وغيرهم.[٢]

ودليلهم في ذلك: أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة؛لأنها قرآن منزل، وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وقد كانت مشتملة على الأحرف السبعة، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.[٣]

---

(١) "النشر" (١/ ٣٤-٣٥).

(٢) "الإتقان"(١٣٣) "الأحرف السبعة"(٦٣) "النشر"(١/ ٤٣) "الفصل في الملل والنحل"(٢/ ٦٥).

(٣) "الإتقان"(١/ ١٤١)

كذلك أن الأحرف السبعة كان مرخصاً فيها، ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض المرخص فيه؛إذ ليس بعضه أولى من بعض.(١)

كذلك أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف كانت للتيسير على الأمة في تلاوة القرآن، والتيسير ما زال محتاجاً إليه؛إذ لم تكن قراءة القرآن على حرف واحد في العصر الأول بين العرب الأقحاح أصعب منها على من بعدهم من المسلمين في العصور المتأخرة، وقد فشا فيهم اللحن والعجمة، فهم أحوج إلى التيسير من العرب.

القول الثاني:

أن المصاحف العثمانية اشتملت على حرف واحد من الأحرف السبعة، وهو حرف قريش، وأن الأحرف الباقية إما نسخت في زمن النبي ﷺ، أو اتفق الصحابة على تركها درءاً للفتنة التي كادت تفتك بالأمة عندما اختلف الناس في قراءة القرآن، وذهب إلى هذا القول ابن جرير الطبري، وأبو جعفر الطحاوي، وابن حبان، والحارث المحاسبي، وابن عبد البر، وابن أبي صفرة، وابن القيم، وجعله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول أئمة السلف والعلماء، ورجحه ابن عثيمين رحمه الله (٢)

واستدلوا على ذلك بأن الأحرف السبعة كانت في بداية الأمر خاصة للضرورة

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٥)

(٢) انظر "تفسير الطبري"(١/ ٥٩) و"الإستذكار"(٢٤/ ٢٧٧) و"شرح مشكل الآثار"(٨/ ١٢٥) "الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية"(١٨)، و"مجموع الفتاوى"(١٣/ ٤٠١)،"الشرح الممتع" (٣/ ١١٥)

لاختلاف لغة العرب، ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة واحدة، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وارتفعت الضرورة ارتفع حكم هذه السبعة، ورجح ذلك قيام الخلاف بين القراء بما كان يؤدي إلى فتنة عظيمة، فاجتمعت الأمة بقيادة عثمان رضي الله عنه على أن تقتصر على حرف واحد من الأحرف السبعة جمعاً لكلمة المسلمين، فأخذت به وأهملت ما عداه فعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.(١)

كذلك القراءة بالأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كانت جائزة لهم مرخصاً لهم فيها، وقد جعل الاختيار في أي حرف اختاروه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام.(٢)

القول الثالث:

أن المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة متضمنة لما ثبت في العرضة الأخيرة، ونسبه ابن الجزري إلى جماهير العلماء من السلف والخلف، وأئمة المسلمين،ورجحه بقوله:وهذا القول هو الذي يظهر صوابه لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له.

وقال: ولا شك أن القرآن نسخ منه وغير فيه في العرضة الأخيرة، فقد صح النص

---

(١) "شرح مسلم" للنووي(٦/ ١٠٠).

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٥)

بذلك عن غير واحد من الصحابة، وروينا بإسناد صحيح عن زر بن حبيش قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة. قال: فإن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة قال فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي صلة الله عليه وسلم مرتين فشهد عبد الله يعني ابن مسعود ما نسخ منه وما بدل. فقراءة عبد الله الأخيرة. وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر في العرضة الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ...

ثم قال ابن الجزري: ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوَّين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين، فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه ﷺ ولا يمنعوا من القراءة به.[1]

(١) "النشر" لابن الجزري(١/ ٣٦-٣٧-٣٨)

المبحث الخامس: القراءات وما يتعلق بها

أولا: تعريف القراءات:

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر قرأ .

واصطلاحاً: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله[١]

ثانيا: شروط القراءة الصحيحة

لا تصح القراءة إلا إذا حققت شروطاً ثلاثة:

الأول: موافقتها للعربية بوجه من الوجوه.

الثاني: موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

الثالث: صحة سندها إلى النبي ﷺ.

قال ابن الجزري رحمه الله: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة

(١) "منجد المقرئين" لابن الجزري(١٩).

التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الداني، ومكي، والمهدوي، وأبو شامة وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

قال أبو شامة في "المرشد الوجيز": لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

ثم قال ابن الجزري: فقولنا في الضابط (ولو بوجه) نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان ﴿**بارئكم**﴾ و ﴿**يأمركم**﴾ وخفض ﴿**والأرحامِ**﴾ ونصب ﴿**ليجزى قوماً**﴾ والفصل بين المضافين في ﴿**قتل أولادهم شركائهم**﴾ وغير ذلك.

قال الداني وأئمة القراء: لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.

ثم قال ابن الجزري: ونعني: (بموافقة أحد المصاحف) ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر: ﴿**قالوا اتخذ الله**﴾ في البقرة بغير واو ﴿**و بالزبر وبالكتاب**﴾ بإثبات الباء فيهما فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي وكقراءة ابن كثير: ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ في آخر براءة بزيادة (من) فإنه ثابت في المصحف المكي ونحو ذلك فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

قال ابن الجزري: وقولنا (ولو احتمالا) نعني به ما وافقه ولو تقديراً كـ ﴿**ملك يوم الدين**﴾ فإنه كتب في الجميع بلا ألف فقراءة الحذف توافقه تحقيقاً وقراءة الألف توافقه تقديراً لحذفها في الخط اختصارا كما كتب ملك الملك

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً نحو: ﴿**تعلمون**﴾ بالتاء والياء، ﴿**ويغفر لكم**﴾ بالياء والنون ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم وانظر كيف كتبوا: ﴿**الصراط**﴾ بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ولذلك اختلف في ﴿**بصطة**﴾ الأعراف دون ﴿**بسطة**﴾ البقرة لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة، ولذا لم يعدوا

إثبات ياء الزوائد وحذف ياء ﴿**فلاتسألني**﴾ في الكهف وواو ﴿**وأكون من الصالحين**﴾ والظاء من ﴿**بضنين**﴾ ونحوه من مخالفة الرسم المردودة فإن الخلاف في ذلك مغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني فإن حكمه في حكم الكلمة لا تسوغ مخالفة الرسم فيه وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة إتباع الرسم ومخالفته.

قال وقولنا: (وصح مسندها) نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.[1] اهـ

ثالثا: أنواع القراءات:

١- **متواترة،** وهي ما اتفق عليه القراء فيما صح نقله عنهم، وهو الغالب في القرآن،وأكثر العلماء يحصر المتواتر بالمنقول عن السبعة القراء، وبعضهم يقول: العشرة القراء.

٢- **مشهورة:** وهي ما صح سندها واشتهر عند القراء من غير نكير، ولم يبلغ حد التواتر مع موافقة الرسم العثماني والعربية، فلم تُعد من الغلط ولا من الشذوذ، ويقرأ بها.

---

(١) "النشر" لابن الجزري(١/ ١٩-٢٠) "منجد المقرئين"(٤٣)

ومثالها: مواضع اختلاف القراء المعروفين السبعة أو العشرة.

وفيه مصنفات، كالتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري.

٣- **الآحاد**: وهي ما صح سنده، ووافق العربية، وخالف الرسم

مثال ذلك: ما روي عن بعض الصحابة من القراءات وصح سندها، كقراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: ﴿**والنهار إذا تجلى * والذكر والأنثى**﴾.

٤- **شاذة**: وهي ما روي ولم يصح سنده.

مثال ذلك: قراءة: ﴿**مَلَكَ يوم الدين**﴾وقد نسبت هذه القراءة إلى أبي حنيفة ولم تصح.

رابعا: حكم القراءات السابقة:

نقل الإمام ابن الجزري رحمه الله عن مكي بن أبي طالب قال: وقال الإمام مكي في مصنفه الذي ألحقه بكتاب "الكشف" له:فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القرآن الآن فيقرأ به، وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به، وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟

فالجواب: أن جميع ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهن أن ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً، ويكون موافقاً لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه؛لأنه أخذ إجماع من جهة موافقة المصحف، وكفر من جحده.

والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين:

إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن به بخبر الآحاد.

الثانية:أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف.[١] اهـ

قلت: ويدخل تحت القسم الأول المتواتر والمشهور.

ولذلك قال ابن الجزري: وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين: متواتر، وصحيح مستفاض متلقى بالقبول والقطع حاصل بهما.[٢]

وأما من حيث الاحتجاج بهما فلا خلاف بين أهل العلم في الاحتجاج بالمتواتر والمشهور من القراءات.

وأما القسم الثاني فيدخل تحته النوع الثالث وهو الآحاد.

---

(١) "النشر" (١/ ٢٢-٣٢)

(٢) "منجد المقرئين"(٥١)

وحكمه من حيث القراءة به حصل خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: جواز القراءة بها، وهو أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة، وإحدىٰ الروايتين عن مالك وأحمد مستدلين علىٰ ذلك بقراءة الصحابة بها في الصلاة.

القول الثاني: عدم جواز القراءة بها، وهو قول جمهور العلماء وأكثر الفقهاء مستدلين علىٰ ذلك بعدم تواترها عن النبي ﷺ، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة،أو بإجماع الصحابة علىٰ المصحف العثماني، أو أنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة، وهذا هو الذي يظهر رجحانه.

قال ابن الجزري رحمه الله: والقسم الثاني من القراءة الصحيحة ما وافق العربية، وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في الصحيح من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرىٰ، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء، وعمر، وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمىٰ اليوم شاذة، لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها.[1]

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتابه "التمهيد": وقد قال مالك إن من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود،أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يصل وراءه، وعلماء المسلمين مجمعون علىٰ ذلك إلا قوماً شذوا لا يعرج عليهم.

---

(١) وهنا لا بد من قيد مهم وهو: عدم الجواز المذكور إذا قرأ بها على أنها قرآن ثابت يتعبد به، أما إذا قرأها خارج الصلاة على سبيل الرواية أو التعليم أو الاستشهاد على حكم لغوي أو شرعي أو نحو ذلك فالأمر واسع في ذلك.

وحكى الإمام ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يجوز أن يصلى خلف من يقرأ بها.[١]

وقال الشنقيطي: أن ما نقل أحاداً كقراءة (متتابعات) المذكورة لا يكون قرآناً وهذا لا خلاف فيه.[٢]

(١) "منجد المقرئين" لابن الجزري(٤٥-٤٦)

(٢) "مذكرة أصول الفقه" للشنقيطي

وأما من حيث الإحتجاج بهذه القراءة فقد حصل خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: مذهب أبي حنيفة وأصحابه والشافعي في الصحيح عنه ومذهب الحنابلة الإحتجاج بها تنزيلاً لها منزلة أحاديث الآحاد.

القول الثاني: مذهب الآمدي، وابن الحاجب، وابن العربي، وبعض أصحاب الشافعي، ورواية عن أحمد وهو عدم جواز الإحتجاج بها؛ لأنها نقلت على أنها قرآن، ولكنها لم تثبت، وهذا مطعن كبير يحمل على عدم الإحجاج بها.(١)

والذي يظهر رجحانه هو الأول لثبوت كونها نصاً سمع من رسول الله ﷺ، ولا فرق بين القرآن والسنة إذا صح نقلهما في وجوب العمل.

قال ابن قدامة بعد أن ذكر الخلاف: والصحيح أنه حجة لأنه يخبر أنه سمعه من النبي ﷺ فإن لم يكن قرآناً فهو خبر فإنه ربما سمع الشيء من النبي ﷺ تفسيراً فظنه قرآناً، وربما أبدل لفظه بمثلها ظناً منه أن ذلك جائز كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجوز مثل ذلك وهذا يجوز في الحديث دون القرآن ففي الجملة لا يخرج عن كونه مسموعاً من النبي ﷺ ومروياً عنه فيكون حجة كيف ما كان.اهـ(٢)

وأما القسم الثالث: فيدخل تحته النوع الرابع وهو الشاذ.

قال ابن الجزري رحمه الله: وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما، من غير نقل فلا

---

(١) انظر "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٤)، "الإتقان"(١/ ٢١٩) "إجابة السائل" للصنعاني(٧٢) "المدخل إلى مذهب الإمام ابن حنبل" لابن بدران(١٩٦)

(٢) "روضة الناظر" لابن قدامة(٦٣)

تسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها.

وقال أبو عمرو بن الصلاح في جواب سؤال عن القراءة بالشاذ: وأما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآناً فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلاً، والمجترئ على ذلك مجترئ على عظيم، وضال ضلالاً بعيداً فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه، ولا يخلو ذو ضلالة، ولا يحل للمتمكن من ذلك إمهاله، ويجب منع القارئ بالشاذ وتأثيمه بعد تعريفه، وإن لم يمتنع فعليه التعزير بشرطه.(١)

خامسا:فوائد اختلاف القراءات

١- ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛إذ كل قراءة بمنزلة الآية؛إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.

٢- ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة؛إذ هو مع كثرة الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض، ولا تخالف بل كل يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

٣- ومنها سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة؛إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة،فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى

(١) "منجد المقرئين"(٤٧-٤٨).

لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة لا سيما فيما كان خطه واحداً،فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً.

٤- إعظام أجور الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم، والأحكام من دلالة كل لفظ.

٥- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده حتى حموه من خلل التحريف، وحموه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات، وتفاوت الإمالات، وميزوا بين الحروف والصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم.

٦- ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتاب ربها، واتصال السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، فلو لم يكن إلا هذه الفائدة لكفت، ولو لم يكن إلا هذه الخصيصة لوفت.

٧- ومنها ظهور سر الله تعالى في تولية حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء

القرآن العظيم في المصاحف والصدور.[١]

سادسا: علاقة القراءات بالأحرف السبعة

قد يتطرق إلى ذهن بعض الناس أن القراءات السبع التي يقرأ بها اليوم هي الأحرف السبعة التي وردت في الحديث الصحيح «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» وليس كذلك، بل هذه القراءات السبع أو العشر جزء من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن وإليك كلام أئمة هذا الشأن في هذه المسألة.

قال مكي بن أبي طالب: إن هذه القراءات كلها التي يقرأ الناس بها اليوم وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان رضي الله عنه الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطرح ما سواه مما يخالف خطه.[٢]

قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل.

وقال أبو العباس بن عمار المهدوي: لقد نقل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة ووقع له أيضاً في اقتصاره

---

(١) "النشر" (١/ ٤٩-٥٠)

(٢) نقله ابن الجزري في كتابه "منجد المقرئين"(١٠٢)

عن كل إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها وقد تكون هي أشهر وأصح وأظهر وربما بالغ من لا يفهم فخطأ أو كفر.

وقال أبو بكر بن العربي: ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم؛ فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم وكذا قال غير واحد منهم مكي وأبو العلاء الهمذاني وآخرون من أئمة القراء.(١)

وقال القراب في "الشافي": التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك وذلك لم يقل به أحد.(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها[أي القراءات السبع] حرفٌ من الحروف السبعة بل يقولون إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة، وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي على جبريل، والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام.(٣)

---

(١) نقل هذه الأقوال السيوطي في كتابه "الإتقان"(٢٠٥-٢٠٦)

(٢) نقله ابن الجزري في كتابه "النشر" (١/ ٤٧)

(٣) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٥)

وهنا لفتة مهمة: إذا كانت هذه القراءات الموجودة هي جزء من الأحرف السبعة فما وجه الإقتصار على السبعة أو العشرة؟ وما وجه الإضافة إلى هؤلاء القراء؟

فالجواب كما يلي:

أما الإقتصار على السبعة أو العشرة:

فكما قال مكي بن أبي طالب: والسبب في الاقتصار على السبعة مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدراً ومثلهم أكثر من عددهم أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة والإتفاق على الأخذ عنه فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة وغيرهم..... والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع واستقامة الوجه في العربية وموافقة الرسم وأصح القراءات سنداً نافع وعاصم، وأفصحها أبو عمرو والكسائي.[1]

وأما وجه الإضافة إلى هؤلاء القراء:

فكما قال أبو عمرو الداني: وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة

---

(١) انظر "الإتقان"(٢٠٦)

وآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.(١)

شبهة والرد عليها

طرأت على بعض الناس شبهة وهي: استبعاد أن الرسول ﷺ قرأ بهذه القراءات السبع أو العشر، وقالوا: إن هذه القراءات اختيار واجتهاد من القراء؟

والجواب على هذه الشبهة هو: أنه قد علم أن الأصل في القراءة هو التلقي والرواية لا الإجتهاد والقياس، فالقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، متصلة السند إلى النبي ﷺ، وهؤلاء القراء العشرة تلقوا القراءة وأخذوها مشافهة عمن قبلهم وهكذا إلى الصحابة، والصحابة تلقوها من النبي ﷺ فلم يكن لهؤلاء القراء أن يخترعوا شيئاً من عند أنفسهم أو يزيدوا في القراءة شيئاً لم يسمعوه ممن قبلهم،وأما مسألة اختيار القراء؛ فهو اختيار للأوجه التي تلقوها عن أكثر من قارئ فتجد القارئ قد أخذ القراءة عن عدة قُرّاء بعدّةِ أوجه ثم اختار له وجهاً، وقرأ به وأقرأ الناس بهذا الوجه واشتهر عنه. فالأمر مجرد اختيار لوجه من الأوجه التي تلقاها عن مشايخه، وليس اختراع لشيءٍ جديد، ثم إن هذا الاختيار لا يحصل إلا بعد أن يتقن القارئ المختص روايات عدة من القراءات الصحيحة المتواترة عن أئمتها، فيختار لنفسه من بينها واحدة يثبت عليها

(١) "الأحرف السبعة" لأبي عمرو الداني(٦١)

وتؤخذ عنه، وقد سبق كلام أبي عمرو الداني بقوله: وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.

وقال ابن مجاهد: والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقياً وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه على ما روى عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي، ثم ذكر آثاراً عن هؤلاء في أن القراءة سنة متبعة.(١)

كذلك مما يرد عليهم: أن القرآن أنزل على النبي ﷺ على سبعة أحرف، وقرأ بها النبي ﷺ وأقرأ بها أصحابه،وهذه القراءات السبع هي جزء من الأحرف السبعة كما ذكرناه سابقاً فكيف يقال: إن الرسول قرأ بالأحرف السبعة وهي أوسع ولم يقرأ بالقراءات السبع أو العشر وهي جزء منها.

سابعا:جمع القراءات السبع أو العشر في القراءة

حصل خلاف بين أهل العلم فمنهم من ذهب إلى المنع مطلقاً، ومنهم من أجازه مطلقاً، وذهب بعضهم إلى التفصيل في ذلك:

قال ابن الجزري رحمه الله: والصواب عندنا في ذلك التفصيل:

---

(١) "السبعة في القراءات" لابن مجاهد(٤٩)

* إن كانت إحدىٰ القراءتين مترتبة علىٰ الأخرىٰ فالمنع من ذلك منع تحريم كمن يقرأ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾بالرفع فيهما أو النصب آخذاً رفع آدم من قراءة غير ابن كثير، ورفع كلمات من قراءة ابن كثير،ونحو: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾بالتشديد مع الرفع أو عكس ذلك، وشبهه مما يركب بما لا تجيزه العربية ولا يصح في اللغة.

* وأما ما لم يكن كذلك فإننا نفرق فيه بين مقام الرواية وغيرها،فإن قرأ بذلك علىٰ سبيل الرواية فإنه لا يجوز أيضاً من حيث إنه كذب في الرواية وتخليط علىٰ أهل الدراية، وإن لم يكن علىٰ سبيل النقل والرواية بل علىٰ سبيل القراءة والتلاوة فإنه جائز صحيح مقبول لا منع ولا حظر، وإن كنا نعيبه علىٰ أئمة القراءات العارفين باختلاف الروايات من وجه تساوىٰ العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروه أو حرام؛ إذ كلٌ من عند الله نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين تخفيفاً عن الأمة، وتهويناً علىٰ أهل الملة، فلو أوجبنا عليهم قراءة كل رواية علىٰ حدة لشق عليهم تمييز القراءة الواحدة وانعكس المقصود من التخفيف وعاد الأمر بالسهولة إلىٰ التكليف.اهـ[1]

(١) "النشر"(١/ ٢٦-٢٧)

ثامنا: ترجمة القراء العشرة:

وهذه ترجمة موجزة للقراء العشرة مع رواتهم.

١ـ نافع:

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أحد الأعلام، ثقة صالح، أصله من أصبهان .(٧٠-١٦٩هـ)

أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة: عن أبي جعفر القاري، وعبد الرحمن بن هرمز، والزهري، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وبلغ شيوخه السبعين من التابعين وهم أخذوا عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب عن رسول الله، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة.

وممن اشتهر بالرواية عنه روايان وهما:

الأول: قالون.

هو أبو موسى عيسى بن مينا الزرقي النحوي مولى بني زهرة (١٢٠-٢٢٠هـ).

قارئ المدينة ونحويها، يقال: إنه ربيب نافع، وقد اختص به كثيراً ولقبه قالون؛ لجودة قراءته لأن قالون معناه الجيد في أصل وضعها.

وقال قرأت على نافع غير مرة وكتبت عنه، وكان أصم يقرئ القرآن، وينظر إلى شفتي القارئ ويرد عليه اللحن والخطأ.

الثاني: ورش.

هو عثمان بن سعيد المصري مولى قريش يكنى أبا سعيد (١١٠-١٩٧هـ) ويُلقب بورش لشدة بياضه.

شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين،رحل إلى المدينة فقرأ على نافع ختمات سنة ١٥٥ خمس وخمسين ومائة ثم رجع إلى مصر فانتهت إليه رياسة الإقراء بها .

وله اختيار خالف فيه نافعاً، وكان ثقة حجة، جيد القراءة حسن الصوت، لا يمل سامعه.

وفي ذلك يقول صاحب الشاطبية:

فأما الكريم السر في الطيب نافع فذاك الذي أختار المدينة منزلا

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم بصحبته المجد الرفيع تأثلا

٢- ابن كثير:

هو أبو محمد أو أبو معبد عبد الله بن كثير الداري الفارسي الأصل (٤٥-١٢٠هـ)،

كان إمام الناس في القراءة بمكة تحفه السكينة ويحوطه الوقار،روى عن عدد من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبي أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وغيرهم.

أخذ القراءة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله،وقرأ على عبد الله بن السائب المخزومي،و أبي بن كعب وعمر بن الخطاب،وكلاهما قرأ على رسول الله.

وروى القراءة عنه جماعة منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد،

وأبو عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة وغيرهم.

كان فصيحاً بليغاً مفوهاً طويلاً جسيماً.

قال أبو عمرو بن العلاء: ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد.

وقد اشتهر بالرواية عنه ولكن بواسطة أصحابه البزي وقنبل:

الأول: البزي.

هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، فالبزي نسبة إلى بزة هذا وهو جده الأعلى(١٧٠-٢٥٠هـ)

كان إماماً ضابطاً ثقةً انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، وكان إمام المسجد الحرام ومقرئه ومؤذنه .

قرأ على عكرمة بن سليمان عن شبل بن عباد وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير.

الثاني: قنبل.

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد المخزومي المكي يكنى أبا عمر ويلقب بقنبل لشدته(١٩٥-٢٩١هـ)

كان إماماً في القراءة ضابطاً ثقةً يؤمه الناس من أقطار الأرض،شيخ القراء بالحجاز، أخذ القراء عرضاً عن أحمد بن محمد النبال، وروى القراءة عن البزي.

روى عنه القراءة جماعة كثيرة منهم أبو ربيعة، وابن مجاهد، وابن شنبوذ وغيرهم.

وفي ابن كثير وراوييه يقول صاحب الشاطبية:

ومكـــة عبـــد الله فيهـــا مقامـــه هـــو ابـــن كثـــير كـــاثر القـــوم معـــتلا
روىٰ أحمـــد البـــزي لـــه ومحمـــد عـــلىٰ ســـند وهـــو الملقـــب قنـــبلا

٣ـ أبو عمرو:

هو أبو عمرو زبان بن العلا التميمي المازني البصري (٦٨-١٥٤هـ)

إمام العربية والإقراء مع الصدق والثقة والزهد، ليس في السبعة أكثر شيوخاً منه، توجه مع أبيه لما هرب من الحجاج، فقرأ بمكة والمدينة، وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة علىٰ جماعة كثيرة، قرأ علىٰ الحسن البصري، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، وعاصم بن أبي النجود، وابن كثير المكي، وعكرمة مولىٰ ابن عباس ويزيد القعقاع، ويحيىٰ بن يعمر.

قرأ علىٰ مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله.

روىٰ عنه القراءة عرضاً جماعة كثيرة منهم أبو زيد الأنصاري، والأصمعي، وعيسىٰ بن عمر، ويحيىٰ اليزيدي، وسيبويه.

وممن اشتهر بالرواية عنه الدوري والسوسي ولكن بواسطة اليزيدي أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي المتوفى سنة ٢٠٢ اثنتين ومائتين.

وسمي باليزيدي نسبة إلىٰ يزيد ابن منصور خال الخليفة المهدي لأنه كان يؤدب ولده

الأول: الدوري.

هو أبو عمر حفص بن عمر المقري البغدادي الضرير ولقب بالدوري نسبة إلى الدور وهو موضع بالجانب الشرقي من بغداد.

كان ثقةً ضابطاً ثبتاً، أول من جمع القراءات، وقرأ بالسبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً.

قرأ على الكسائي، وأخذ قراءة نافع عن إسماعيل بن جعفر، وقراءة يزيد بن القعقاع،عن ابن جماز، وقراءة حمزة عن محمد بن سعدان، ولأبي بكر عن عاصم،وعن يحيى اليزيدي قراءة أبي عمرو، وأخذ عنه القراءة جمع كبير، توفي سنة (٢٤٦) ست وأربعين ومائتين.

الثاني: السوسي.

هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي.

مقرئ ضابط محرر ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي(قراءة أبي عمرو)، وقرأ على حفص قراءة عاصم، وأخذ عنه القراءة جماعة، توفي سنة ٢٦١هـ

وفي أبي عمرو وراوييه يقول صاحب الشاطبية:

وأما الإمام المازني صريحهم ... أبو عمرو البصري فوالده العلا

أفاض على يحيى اليزيدي سيبه ... فأصبح بالعذب الفرات معللا

أبو عمر الدوري وصالحهم أبو ... شعيب هو السوسي عنه تقبلا

٤ـ ابن عامر:

هو عبد الله اليحصبي نسبة إلى يحصب وهو فخذ من حمير ويكنى أبا نعيم وأبا عمران (٨-١١٨هـ).

وهو تابعي جليل كان إماماً عالماً ثقةً فيما أتاه، متقناً لما وعاه، عارفاً فهماً فيما جاء به، صادقاً فيما نقله، لقى واثلة بن الأسقع، والنعمان بن بشير، أخذ القراءة عن المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان عن رسول الله، وقيل: إنه قرأ على عثمان نفسه، وأخذ القراءة كذلك على أبي الدرداء مقرئ أهل الشام، روى القراءة عنه جماعة منهم يحيى بن الحارث الذماري، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة، وأخوه عبد الله بن عامر، وخلا بن يزيد .

وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان ولكن بواسطة أصحابه.

الأول: هشام.

وهو هشام بن عمار أبو الوليد السلمي الدمشقي(١٥٣-٢٤٥هـ).

إمام أهل الشام وخطيبهم ومحدثهم ومقرئهم ومفتيهم أخذ القراءة عرضاً عن أبي أيوب بن تميم وعراك بن خالد المزي، وسويد بن عبد العزيز وغيرهم.

وروى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن يزيد الحلواني.

وكان هشام قاضياً فقيهاً محدثاً ثقةً ضابطاً، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث.

الثاني: ابن ذكوان.

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي (١٧٣-٢٤٢هـ).

الإمام الأستاذ المشهور الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر، وقرأ على الكسائي لما قدم الشام، وروى الحروف سماعاً عن إسحاق بن المسيبي عن نافع.

قال أبو زرعة فيه: إنه الحافظ الدمشقي لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمن ابن ذكوان عندي أقرأ منه.

وفي ابن عامر وراوييه يقول صاحب الشاطبية:

وأما دمشق الشام دار ابن عامر   فتلك بعبد الله طابت محللا
هشام وعبد الله وهو انتسابه   لذكوان بالإسناد عنه تنقلا

٥ـ عاصم:

هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي والنجود بفتح النون وضم الجيم مأخوذ من نجدت الثياب إذا سويت بعضها ببعض (ت١٢٧هـ)

شيخ الإقراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وحسن الصوت بالقرآن، أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ، وقرأ أيضاً على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، وأبي عمرو الشيباني.

روىٰ القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وحماد بن زيد، وأبو بكر بن عياش، وجماعة، وروىٰ عنه حروفاً من القرآن أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وحمزة الزيات.

قال راويته حفص قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها علىٰ زر بن حبيش، عن ابن مسعود.

ممن اشتهر بالقراءةعنه شعبة وحفص كلاهما بدون واسطة.

الأول: شعبة.

هو المشهور بابن عياش بن سالم الأسدي، وقيل اسمه محمد وقيل مطرق ويكنىٰ أبا بكر (٩٥-١٩٣هـ)

الإمام العلم راوي عاصم، عرض عليه القرآن ثلاث مرات، وعلىٰ عطاء بن السائب، وأسلم المنقري، وأخذ عنه جماعة، وأخذ عنه الحروف آخرون منهم الكسائي وخلاد الصيرفي، وكان من أئمة السنة، وهو صاحب الكلمة المشهورة في أبي بكر الصديق: «ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في صدره».

الثاني: حفص.

هو أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز(٩٠-١٨٠هـ) كان ربيب عاصم تربىٰ في حجره وقرأ عليه وتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه فلا جرم أن كان أتقن

من شعبة، وكان ثقةً في الإقراء، ثبتاً ضابطاً، بروايته يقرأ أهل المشرق اليوم.

وفي عاصم وراوييه يقول صاحب الشاطبية:

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة أذاعوا فقد ضاعت شذىً وقرنفلا
فأما أبو بكر وعاصم اسمه فشعبة راويه المبرز أفضلا
وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا وحفص وبالإتقان كان مفضلا

٦ـ حمزة:

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي(٨٠-١٥٦هـ).

حبر القرآن، إمام الناس بعد عاصم والأعمش، زاهد عابد خاشع، قيم بالعربية والفرائض، كان ورعاً بكتاب الله مجوداً له حافظاً للحديث.

أخذ القراءة عرضاً على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش عن يحيى بن وثاب عن زر بن حبيش عن عثمان، وعلي، وابن مسعود، عن النبي ﷺ، وأيضاً أخذ القراءة عن أبي إسحاق السبيعي، وحمران بن أعين، وجعفر بن محمد الصادق، واختار مذهب عمران الذي يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان.

روى عنه القراءة كثير منهم إبراهيم بن أدهم، والحسين الجعفي، وسليم بن عيسى أضبط أصحابه، والكسائي أجل أصحابه، ويحيى بن زياد الفراء، ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهم.

وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة أبي عيس سليم بن عيسى الحنفي الكوفي .

الأول:خلف.

هو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار البغدادي(١٥٠-٢٢٩هـ)

الإمام العلم، أحد القراء العشرة،وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ثقة كبير، زاهد عابد عالم.

أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسىٰ، وعبد الرحمن بن أبي حماد،عن حمزة، وأبي زيد الأنصاري عن المفضل الضبي، وروىٰ الحروف عن إسحاق المسيبي، ويحيىٰ بن آدم، وروىٰ رواية ابن قتيبة عن عبيد بن عقيل من طريق ابن شنبوذ المطوعي أداءً وسماعاً، وسمع من الكسائي ولم يقرأ عليه القرآن.

روىٰ القراءة عنه عرضاً وسماعاً وراقه أحمد بن إبراهيم، وأحمد بن يزيد الحلواني.

كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مئة وعشرين حرفاً في اختياره.

الثاني: خلاد.

هو أبو عيسىٰ خلاد بن خالد الشيباني الأحول الصيرفي(٢٢٠هـ)

إمام في القراءة ثقة عارف محقق، أخذ القراءة عن سليم وهو أضبط أصحابه وأجلهم، ورواها عن حسين بن علي الجعفي، عن أبي بكر، وعن أبي بكر نفسه عن عاصم.

روىٰ القراءة عنه عرضاً أحمد بن يزيد الحلواني، والقاسم الوزان، وهو أنبل أصحابه، وآخرون.

وفي ذلك يقول صاحب الشاطبية:

وحمزة ما أزكاه من متورع ... إماما صبورا للقرآن مرتلا

روىٰ خلف عنه وخلاد الذي ... رواه سليم متقنا ومحصلا

٧ـ الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي فارسي الأصل أسدي الولاء(١١٩-١٨٩هـ).

لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابساً كساء قال أبو بكر الأنباري اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب، وكان أوحد الناس بالقرآن فكانوا يكثرون عليه حتىٰ يضطر أن يجلس علىٰ الكرسي ويتلوا القرآن من أوله إلىٰ آخره وهم يسمعون منه ويضبطون عنه.

انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات،أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات، وعليه اعتماده، وعن محمد بن أبي ليلىٰ، وعيسىٰ بن عمر الهمداني، وروىٰ الحروف عن أبي بكر بن عياش، وعن إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع، وعن المفضل الضبي، ورحل إلىٰ البصرة فأخذ اللغة عن الخليل.

أخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جمع منهم إبراهيم بن زاذان، وحفص الدوري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وقتيبة بن مهران، وخلف بن هشام البزار، ويحيىٰ بن زياد الفراء وغيرهم، وروىٰ عنه الحروف يعقوب الحضرمي.

وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري.

الأول: أبو الحارث.

هو الليث بن خالد المروزي البغدادي(٢٤٠هـ)

ثقة معروف حاذق ضابط، عرض القراءة علىٰ الكسائي وهو من أجل أصحابه،

وروىٰ الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي.

روىٰ القراءة عنه عرضاً وسماعاً سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيرهم.

الثاني: الدوري.

هو أبو عمر حفص بن عمر الدوري الأزدي البغدادي الذي ألمعنا إليه في الرواية عن أبي عمرو.

وفي الكسائي وراوييه يقول صاحب الشاطبية:

وأمـــا عـــلي فالكســـائي نعتـــه لمـــا كـــان في الإحـــرام فيـــه تسربـــلا
روىٰ ليـثهم عنـه أبـو الحـارث الرضـا وحفص هو الدوري وفي الذكر قد خلا

٨ـ أبو جعفر.

هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القاري نسبة إلىٰ موضع بالمدينة يسمىٰ قارا (١٣٠هـ).

إمام تابعي مشهور، صالح متعبد كبير القدر، عرض القراءة علىٰ مولاه عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وروىٰ عنهم وصلىٰ بابن عمر وأقرأ الناس.

وروىٰ عنه القراءة نافع، وسليمان بن مسلم بن جماز، وعيسىٰ بن وردان وجماعة.

كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي بالقارئ، وشهد أبو الزناد أنه لم يكن أحد أقرأ للسنة منه، وكان يقدم في زمانه علىٰ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

وقد اشتهر بالرواية عنه أبو موسى عيسى بن وردان الحذاء وأبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز.

الأول: عيسى بن وردان.

هو أبو موسى عيسى بن وردان المدني الحذاء(١٦٠هـ)

إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع وهو من جلة أصحابه وشاركه في الإسناد، عرض عليه إسماعيل بن جعفر وقالون.

الثاني: ابن جماز.

هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني(١٧٠هـ)

مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر، وشيبة ثم على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر وشيبة.

عرض عليه إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مهران.

٩ـ يعقوب الحضرمي:

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(١١٧-٢٠٥).

إمام أهل البصرة ومقرئها، ثقة عالم صالح، إليه انتهت رياسة القراءة بعد أبي عمرو.

أخذ القراءة عرضاً عن جماعة منهم سلام الطويل، ومهدي بن ميمون، وروى عن

سلام حروف أبي عمرو بالإدغام، وسمع الحروف من الكسائي، ومحمد بن زريق الكوفي عن عاصم، وسمع من حمزة حروفاً، وقرأ على شهاب بن شرنقة قراءة أبي الأسود الدؤلي عن علي بن أبي طالب، وقراءته على أبي الأشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى في غاية العلو.

روى القراءة عنه عرضاً جماعة منهم: أبو حاتم السجستاني، وأبو عمر الدوري.

قال السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن، وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء.

وممن اشتهر بالرواية عنه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس وغيرهما.

الأول: روح.

هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم الهذلي النحوي(٢٣٤هـ).

مقرئ جليل، ثقة ضابط مشهور من أجل أصحاب يعقوب، عرض عليه، وروى الحروف عن جماعة عن أبي عمرو، وعرض عليه جماعة منهم أحمد بن يزيد الحلواني

الثاني: رويس.

هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري المعروف برويس(٢٣٨هـ)

مقرئ حاذق ضابط مشهور جليل، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وختم عليه ختمات، وهو من أحذق أصحابه.

روى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار، والإمام أبو عبد الله الزبيري.

١٠ـ خلف بن هشام

راوية حمزة وقد تقدمت ترجمته.

وممن اشتهر بالرواية عنه إسحاق الوراق، وإدريس الحداد.

الأول: إسحاق الوراق.

هو أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي(٢٨٦هـ).

وراق خلف، وراوي اختياره عنه، ثقة قيم بالقراءة ضابط، قرأ على خلف اختياره، وقام به بعده، وعلى الوليد بن مسلم، وقرأ عليه جماعة منهم ابن شنبوذ.

الثاني: إدريس الحداد.

أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي(١٨٩-٢٩٢هـ).

إمام ضابط متقن ثقة، قرأ على خلف اختياره وروايته، وعلى محمد بن حبيب الشموني، وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد، وعرضاً محمد بن أحمد بن شنبوذ وابن مقسم وأبو بكر النقاش وجماعة.[1]

---

(١) انظر ترجمة القراء في "السبعة في القراءات" لابن مجاهد(٥٣-١٠١) و"مقدمة حجة القراءات لابن زنجلة " (٥١-٦٦) و "النشر في القراءات العشر"(١/ ٨٤-١٥٧)و"غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري.

المبحث السادس: مكان النزول (المكي والمدني)

أولا: تعريف المكي والمدني.

حصل خلاف بين أهل العلم في ضابط المكي والمدني على ثلاثة أقوال:

الأول:اعتبار زمن النزول: فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، ومانزل بعد الهجرة فهو مدني ولو كان بمكة أو عرفة.

الثاني: باعتبار مكان النزول: فما نزل بمكة فهو مكي، ومانزل بالمدينة فهو مدني.

الثالث: باعتبار المخاطب: فما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي، وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني، فما صُدر بـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ فهو مكي، وما صدر بـ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فهو مدني فقد ذكر ابن أبي شيبة في "مصنفه" في كتاب فضائل القرآن: عن علقمة قال: «**كل شيء نزل فيه يأيها الناس فهو بمكة وكل شيء نزل فيه يأيها الذين آمنوا فهو بالمدينة**» وهذا مرسل

وأخرج أبو عبيد في "الفضائل" عن ميمون بن مهران قال: «ما كان في القرآن يأيها الناس أو يا بني آدم فإنه مكي وما كان يأيها الذين آمنوا فإنه مدني».

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول:

فالنظر في ذلك إلى زمان النزول وهو ترجيح كثير من أهل العلم كالزركشي،وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، والقرطبي والحافظ ابن حجر، والسيوطي،والألوسي

وابن عثيمين وغيرهم.[١]

قال القرطبي:وكل ما أنزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في سفر من الاسفار.وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.[٢]

وقال ابن كثير في مقدمة تفسيره:فالمكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.[٣]

وأما القول الثاني وهو الإعتبار بمكان النزول فلا ينضبط لأن من القرآن مانزل بغير مكة والمدينة فيحتاج إلى قسم آخر.

قال الزرقاني: لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيها كقوله سبحانه في سورة التوبة ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ**﴾ فإنها نزلت بتبوك، وقوله سبحانه في سورة الزخرف: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا**﴾ الخ فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء ولا ريب أن عدم الضبط في التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام وذلك عيب يخل

---

(١) "البرهان"(١/ ١٣٧) و"مقدمة تفسير ابن كثير"(١/ ١٨) و"فتح الباري" (١٢/ ٣٦٤) و"الإتقان" (٣٥) و"الدر المنثور"(٨/ ٢٠) و"أصول التفسير" للعثيمين (١٧٠)"روح المعاني" للألوسي (١٣/ ١٦٦) "العقيدة الأصفهانية" ص(٢١١)

(٢) "تفسير القرطبي"(٦/ ٣٠)

(٣) "تفسير ابن كثير"(١/ ١٨)

بالمقصود الأول من التقسيم وهو الضبط والحصر.[١]

وأما القول الثالث باعتبار الخطاب فهو مضطرب؛ لأنه وجد في المكي: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾، وفي المدني: ﴿**يا أيها الناس**﴾.

كذلك قال الزركشي: وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر فإن سورة البقرة مدنية وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**﴾ وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً**﴾، وسورة النساء مدنية وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ**﴾ وفيها: ﴿**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ**﴾، وسورة الحج مكية وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**﴾، فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح ولذا قال مكى: هذا إنما هو فى الأكثر وليس بعام، وفى كثير من السور المكية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ انتهى، والأقرب تنزيل قول من قال: مكى ومدنى على أنه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة يأيها الذين آمنوا كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة.[٢] اهـ

قال الزرقاني معقباً على من قيده بالأغلبيه: أقول ولكن صحة الكلام في ذاته لا تسوغ صحة التقسيم فإن من شأن التقسيم السليم أن يكون ضابطاً حاصراً، وأن يكون مطرداً، وقيد الغالبية المراد لا يحقق الضبط والحصر وإن حقق الاطراد فيبقى التقسيم معيباً.اهـ

---

(١) "مناهل العرفان"(١/ ١٣٦)

(٢) "البرهان"(١/ ١٣٧)

وقال الزرقاني: وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترىٰ لكن يرد عليه أمران أحدهما: ما ورد علىٰ سابقة من أنه غير ضابط ولا حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله سبحانه في فاتحة سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَّ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ [الأحزاب: ١] الخ، ونحو قوله سبحانه في فاتحة سورة المنافقون: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهَّ**﴾ [المنافقون: ١] الخ.[(١)] اهـ المراد

ثانيا: طريقة معرفة المكي والمدني:

يعرف المكي والمدني بواحد من طريقين:

الأول: النقل عن الصحابة فقد كانوا يشهدون التنزيل يوعلمون وقائعه وأحواله وزمانه كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».[(٢)]

قال الزركشي: هل نص النبي ﷺ علىٰ بيان ذلك؟

قال القاضي أبو بكر في "الإنتصار": إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم كما أنه لا بد في العادة من معرفة معظمىٰ العالم والخطيب وأهل الحرص علىٰ حفظ كلامه

---

(١) "مناهل العرفان"(١/ ١٣٦)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم(٤٧١٦).

ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ما صنفه أولاً وآخراً، وحال القرآن في ذلك أمثل والحرص عليه أشد غير أنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك قول ولا ورد عنه أنه قال: اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا، وبالمدينة كذا وفصله لهم ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر، وإنما لم يفعله أنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ليعرف الحكم الذي تضمنهما فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه.[١]

الثاني: الإجتهاد عند عدم النقل، وذلك بتمييز خصائص المكي والمدني.

قال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي، فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي قال علقمة عن عبد الله: كل سورة فيها يأيها الناس فقط أو كلا أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين، والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.[٢] اهـ

(١) "البرهان"(١/ ١٣٨).

(٢) "البرهان"(١/ ١٨٩).

ثالثا: ضوابط المكي والمدني:

يعرف المكي من المدني بضوابط وهي كما يلي:

*** ضوابط المكي:**

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية، ومنها سورة الحج.

٢- كل سورة فيها لفظ كلا فهي مكية لما فيها من الدلالة على الردع، وإنما كان مع المشركين قبل التمكين.

٣- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية إلا سورة البقرة.

٤- كل سورة تفتتح بالحروف فهي مكية إلا البقرة وآل عمران.

٥- كل سورة فيها قصص الأنبياء وذكر الأمم الغابرة سوى أهل الكتاب فهي مكية.

*** ضوابط المدني**

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى سورة العنكبوت وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾[العنكبوت: ١١]

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

وهذه العلامات تقريبية في الحكم على الآية أنها مكية أو مدنية، وقد حكم علماء الإسلام على بعض الآيات بكونها مكية أو مدنية بالنظر إلى مثل هذه العلامات

والخصائص[١]

رابعا: مميزات المكي والمدني:

للآيات المكية والمدنية خصائص ومميزات بعضها ترجع إلى الأسلوب، وبعضها ترجع إلى الموضوعية وهي كما يلي:

خصائص القرآن المكي:

أولاً: الخصائص الأسلوبية:

١- قصر الآيات والسور.

٢- كثرة أسلوب التأكيد، ووسائل التقرير ترسيخاً للمعاني،كالإكثار من القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه.

٣- كثرة الفواصل، وقوة العبارة.

ثانياً: الخصائص الموضوعية:

١-الدعوة إلى التوحيدوالإيمان بالله، وإثبات الرسالة، وإثبات اليوم الآخر، والوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقلية والأدلة الكونية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأعلم أن عامة السور المكية التي أنزلها الله بمكة هي في هذا الإيمان العام المشترك بين الأنبياء جميعهم والمؤمنين جميعهم وهذا القدر المشترك هو في بعض الملل أعظم قدراً ووصفاً، فإن ما جاء به محمد من أسماء الله وصفاته

(١) " الإتقان"(٥٥) و"مناهل العرفان"(١/ ١٣٨) "المكي والمدني في القرآن"(١/ ١٦١-١٦٧)

ووصف اليوم الآخر أكمل مما جاء به سائر الأنبياء.

وقال في موضع آخر: والسور المكية أنزلها الله تبارك وتعالى في الدين العام الذي بعث به جميع الرسل كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر الآيات الكثيرة في مجادلة المشركين بشتى أنواعهم قال: والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء.[٢]

وقال شيخ الإسلام: بل الآيات المكية عامتها خطاب لمن كذب الرسل مطلقاً، وأما ما يخاطب به من صدق جنس الرسول من أهل الكتاب والمؤمنين ففي السور المدنية.[٣]

٢- وضع القواعد العامة للتشريع في الحلال والحرام، والتركيز على تثبيت مكارم الأخلاق، وإبطال ما ينافيها من مساوئ الأخلاق مما كان يفعله أهل الجاهلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة، وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله، ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد وأحكام المناكح ونحوها وأحكام الأموال بالعدل كالبيع والإحسان كالصدقة والظلم كالربا وغير ذلك مما هو

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ٤٧٥)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ٣٣٥).

(٣) "درء التعارض"(٣/ ٣١١)

من تمام الدين.

ولهذا كان الخطاب في السور المكية يا أيها الناس لعموم الدعوة إلى الأصول إذ لا يُدعَى إلى الفرع من لا يقر بالأصل، فلما هاجر النبي إلى المدينة وعزَّ بها أهل الإيمان، وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء وهؤلاء يا أيها الذين آمنوا، وهؤلاء يا أهل الكتاب أو يا بني إسرائيل ولم ينزل بمكة شيء من هذا، ولكن في السور المدنية خطاب يا أيها الناس كما في سورة النساء وسورة الحج وهما مدنيتان وكذا في البقرة.[١]

وقال في موضع آخر: كالآيات المكية فإن فيها من بيان التوحيد و النبوة و المعاد و أصول الشرائع ما هو أفضل من تفاصيل الشرائع كمسائل الربا و النكاح و الطلاق و غير ذلك.[٢]

وقال: وعامة السوره المكية كالأنعام والأعراف وآل حم وآل طس وآل آلر هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والصدق والعدل والإخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم[٣].

٣- ذكر قصص الأنبياء، والأمم السالفة للعبرة، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك في سورة الأنعام والأعراف وعامة السور

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٥/ ١٦٠)

(٢) "مجموع الفتاوى"(١٧/ ١٩٠)

(٣) "الجواب الصحيح"(٥/ ١١٨)

المكية وطائفة من السور المدنية فإنها تشتمل على خطاب هؤلاء، وضرب الأمثال ومقاييس لهم، وذكر قصصهم وقصص الأنبياء وأتباعهم معهم.

٤- قصر الفواصل بين الآي مع قوة الوقع في الألفاظ والإيجاز في العبارة.

خصائص القرآن المدني:

أولاً: الخصائص الأسلوبية:

١- طول أكثر السور والآيات المدنية.

٢- الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عند ما يتعرض للمنافقين، وفضح نواياهم الخبيثة.

ثانياً: الخصائص الموضوعية:

١- تفصيل العبادات والمعاملات والحدود، وسائر شرائع الإسلام مما يتناسب التكليف به مع واقع التمكن للمجتمع المسلم.

قال ابن القيم: والاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة، وأما تقرير الأحكام والشرائع فمظنة السور المدنية.[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأما الشرعة والمنهاج الإسلاميان فهو لأمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، وبها أنزلت السور المدنية؛ إذ في المدينة النبوية شرعت الشرائع

(١) "التبيان في أقسام القرآن"(١٤٠)

وسنت السنن ونزلت الأحكام والفرائض والحدود.[١]

٢- التركيز على دعوة أهل الكتاب وشرح أحوالهم وبيان ضلالهم حيث كانوا يوجدون في مجتمع المدينة بعد الهجرة.

قال شيخ الإسلام: والسور المدنية خطابها تارة لأهل الكتاب وتارة تختص بالمؤمنين وتارة تعم.[٢]

وقال: وفي عامة السور المدنية مثل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وغير ذلك من السور المدنية من دعوة أهل الكتاب وخطابهم مالا تتسع هذه الفتوى لعشره.[٣]

٣- الكشف عن حقيقة المنافقين، وشرح صفات المنافقين وأحوالهم، والنفاق لم يظهر في عهد النبي ﷺ حتى مكن الله لهذا الدين، فصار بعض الناس يستترون بالإسلام في الظاهر خوفاً من سلطان الحق وأهله، وهم يسرون له العدواة والكيد والتآمر.

قال شيخ الإسلام: ولهذا إنما ذكر النفاق في السور المدنية، و أما السور المكية فلا ذكر فيها للمنافقين، فإن من أسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق، والذين هاجروا لم يكن فيهم منافق بل كانوا مؤمنين بالله و رسوله محبين لله و لرسوله و كان الله

---

(١) "مجموع الفتاوى"(٢/ ٤٦١)

(٢) "الجواب الصحيح"(٣/ ٦٩)

(٣) "مجموع الفتاوى"(٤/ ٢٠٥)

و رسوله أحب إليهم من أولادهم و أهلهم و أموالهم.[١]

وقال: وسورة الفتح والقتال والحديد والمجادلة والحشر والمنافقين بل عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقين.[٢]

٤- طول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة؛لأن حالهم تقتضي ذلك .

٥- الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم إنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ وأكد الإيجاب وعظم أمر الجهاد في عامة السور المدنية وذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب.[٣]

وهذه الخصائص والمميزات إنما هي غالبية، فقولهم: إن القرآن المكي امتاز بتقرير العقيدة لايعني ذلك أن القرآن المدني لا يتحدث عن العقيدة، وإنما تعني هذه الخاصية أنها في القسم المكي أكثر منها في القسم المدني.

---

(١) "منهاج السنة النبوية" (٧/ ٤٧٦)

(٢) "مجموع الفتاوى"(٧/ ٤٦٣)

(٣) "السياسة الشرعية" ص(١٥٩)

خامساً: فوائد معرفة المكي والمدني:

لمعرفة المكي والمدني فوائد منها:

١- ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة أو لين وسهولة.

٢- ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين، واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

٣- استفادة المنهج السليم في الدعوة إلى الله، فالمكي والمدني يعني بمراحل السيرة النبوية في الدعوة والتبليغ بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.

٤- تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية يتحقق فيهما شروط النسخ؛فإن المدنية ناسخة للمكية لتأخر المدنية عنها.

٥- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف،ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر، وما نزل بالسفر، وما نزل بالنهار، وما نزل بالليل، وما نزل بالشتاء، وما نزل بالصيف، وما نزل بالأرض، وما نزل بالسماء إلى غير ذلك[1]

---

(١) "البرهان"(١/ ١٣٥) "الإتقان"(٣٥) "مناهل العرفان"(١/ ١٣٧)"المقدمات الأساسية" (٥٩)، "أصول التفسير" للعثيمين ص(١٧٤)

سادسا: حصر السور المكية والمدنية:

إن حصر السور المكيةوالسور المدنية ليس توقيفياً عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ وإنما هو بحسب المنقول عن السلف فمنه ما هو متفق عليه ومنه ماهو مختلف فيه.

أولا: السور المكية:

الأنعام-الأعراف-يونس-هود-يوسف-إبراهيم-الحجر-النحل-الإسراء-الكهف -مريم-طه-الأنبياء-المؤمنون-الفرقان-الشعراء-النمل-القصص-العنكبوت -الروم-لقمان- السجدة – سبأ- فاطر- يس- الصافات- ص- الزمر- غافر- فصلت- الشورى – الزخرف- الدخان- الجاثية- الأحقاف- ق- الذاريات- الطور- النجم- القمر-الملك- القلم- الحاقة- المعارج – نوح – الجن – المزمل – المدثر-القيامة –المرسلات – النبأ – النازعات – عبس- التكوير- الإنفطار- الإنشقاق- البروج- الطارق- الأعلى- الغاشية- الفجر – البلد – الشمس- الليل- الضحى- الشرح – التين – العلق – القدر- القارعة- الهمزة – الفيل- قريش- الكافرون – المسد.

ثانيا: السور المدنية:

البقرة- آل عمران- النساء- المائدة- الأنفال- التوبة- النور- الأحزاب- محمد- الفتح- الحجرات- الحديد- المجادلة- الحشر- الممتحنة – الصف – الجمعة- المنافقون- الطلاق – التحريم – البينة – النصر.

ثالثا: ماحصل فيه الخلاف والراجح أنها مكية:

الفاتحة – الرعد – الحج - الرحمن – الواقعة- التغابن - الإنسان - الزلزلة – العاديات - التكاثر - العصر- الماعون - الكوثر- الإخلاص.

رابعا: ما حصل فيه خلاف والراجح أنها مدنية:

المطففين- الفلق- الناس.[١]

سابعا: الآيات المدنية في السور المكية:

كما ذكرنا سابقاً أن الحكم على السورة كونها مكية أو مدنية إنما هو بحسب الأغلب فقد تكون السورة كلها مكية أو مدنية، وقد تكون السورة مكية وفيها آيات مدنية والعكس.

قال الحافظ ابن حجر: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية، قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سوره بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً.[٢]

من هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[هود: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[النحل: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ**

---

(١) "الإتقان"(٤١) "جمال القراء وكمال الإقراء"(١/ ٥-٢٠)"المقدمات الأساسية في علوم القرآن" (٦٠-٦١).

(٢) "الفتح"(٩/ ٤١).

﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾[الإسراء: ٨٥].

فهذه بعض الآيات المدنية في السور المكية.

وأما مجيء الآيات المكية في السور المدنية فهو قليل كما قال الحافظ ابن حجر وغيره.

الفصل الرابع

حفظ القرآن

حفظ القرآن

إن حفظ القرآن الكريم مر بمراحل متعددة وهي كما يلي:

أولا: حفظ القرآن الكريم في السماء:

لقد حظي كتاب الله عز وجل بالحفظ والعناية منذ أن كان في السماء حيث أودعه الله كتابا مكنونا وأقسم الله تعالى على هذه الحقيقة بقسم عظيم فقال: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ *لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الواقعة: ٧٥، ٨٠)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أي: إن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند الله وعند ملائكته في الملأ الأعلى.

ولا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام، الذين طهرهم الله تعالى من الآفات، والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه.اهـ المراد

وقال عز وجل: ﴿**فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾[عبس: ١٣، ١٦].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿**فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ**﴾ أي: هذه السورة أو العظة، وكلاهما متلازم، بل جميع القرآن ﴿**فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ**﴾ أي:

معظمة موقرة ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ أي: عالية القدر، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي: من الدنس والزيادة والنقص .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾قال ابن جرير: الصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله وبين خلقه.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ قال ابن كثير:أي: خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.اهـ

وقال ابن القيم في بيان معنى هذه الآيات: فوصف محله بهذه الصفات بيانا أن الشيطان لا يمكنه أن يتنزل به وتقرير هذا المعنى أهم وأجل وأنفع من بيان كون المصحف لا يمسه إلا طاهر.(١)

وقال جل ثناؤه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي:هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.اهـ

وقال البغوي في تفسير هذه الآية: فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.اهـ

---

(١) "التبيان في أقسام القرآن" ص(١٤٠)

ثانيا: حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض:

حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في طريقه إلى الأرض فنزل به جبريل عليه السلام، وقد وصفه الله تعالى بالروح الأمين فقال الله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[الشعراء: ١٩٤].

قال الألوسي في "تفسيره" عند هذه الآية: ووصف عليه السلام بالأمين؛ لأنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده جل شأنه من غير تغيير وتحريف أصلاً.[(١)] اهـ

وقال السعدي في "تفسيره": وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم ﴿**الأَمِينُ**﴾ الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص.[(٢)]

وقد حفظه الله تعالى من أن تناله الشياطين بشيء فقال تعالى: ﴿**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ *وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ *إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾[الشعراء: ٢١٠، ٢١١، ٢١٢].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ما ينبغي لهم، أي: ليس هو من بُغْيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور

---

(١) "روح المعاني"(١٩/ ١٢٠)

(٢) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (٩١٣).

وهدىٰ وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ولو انبغىٰ لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ثم بين أنه لو انبغىٰ لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلىٰ ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبا في مُدّة إنزال القرآن علىٰ رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلىٰ استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.[١]

وقال السعدي في "تفسيره": ولما بيَّن تعالىٰ كمال القرآن وجلالته، نزهه عن كل صفة نقص، وحماه – وقت نزوله، وبعد نزوله – من شياطين الجن والإنس فقال: ﴿وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي: لا يليق بحالهم ولا يناسبهم ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم لحفظه، ونزل به جبريل، أقوىٰ الملائكة، الذي لا يقدر شيطان أن يقربه، أو يحوم حول ساحته، وهذا كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[٢] اهـ

---

(١) "تفسير ابن كثير"(٦/ ١٦٥).

(٢) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (٥٩٨).

ثالثا: حفظ القرآن الكريم على الأرض:

لقد تلقى النبي ﷺ القرآن من أمين الوحي جبريل عليه السلام، وكانت أول آية نزلت عليه قوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [اقرأ:١] ثم تتابع نزول القرآن، وكانت همة النبي عليه الصلاة والسلام هو حفظ القرآن الكريم واستظهاره ويدل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

فكان ﷺ حين نزول القرآن عليه يتعجل ويبادر بأخذه، واختلف في سبب ذلك.

* **فقيل**: لما يجده من المشقة عند النزول، فيتعجل لتزول المشقة سريعاً.

* **وقيل**: خشية منه ﷺ أن ينساه، أو يتفلت منه شيء .

* **وقيل**: لأجل أن يتذكره .

* **وقيل**: من حبه إياه .

قال الحافظ ابن حجر - بعد ذكر هذه الأسباب -: ولا بعد في تعدد السبب[(١)].

وأخرج البخاري في "صحيحه" عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه، فيشتد عليه، وكان يُعْرفُ منه

(١) "الفتح"(٨/ ٥٢٤).

فأنزل الله الآية التي في ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: علينا أن نَجْمعَهُ في صدرك وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علينا أن نبينه بلسانك . قال: فكان إذا أتاه جبريل أَطْرَقَ، فإذا ذهب قَرَأَهُ كما وعده الله»[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[الأعلى: ٦].

قال ابن كثير:وهذا إخبار من الله، عز وجل، ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، ﴿إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ وهذا اختيار ابن جرير.[(٢)]

وقال السعدي في "تفسيره": أي:سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه.[(٣)] اهـ

٣- حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم ومدارسته في كل أوقاته، فكان يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة عبادةً، وتلاوةً، وتدبراً لمعانيه، حتى تفطرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالا لأمر الله تعالى القائل: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

٤- مدارسة جبريل عليه السلام القرآن للرسول ﷺ فإن جبريل - عليه السلام -

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٥)

(٢) "تفسير ابن كثير"(٨/ ٣٧٩).

(٣) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (٩٢١)

لم يكتف بتبليغ الرسول ﷺ القرآن، بل كان يقرأه النبي ﷺ على جبريل عليه السلام في كل عام مرة حتى يزداد ثبات قلب النبي ﷺ به، وليطمئن جبريل عليه السلام أكثر على ما بلغه به.

فقد أخرج البخاري في "صحيحه": عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « **كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يَعْرِضُ عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ، فإذا لقيه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة** »[(١)].

وعندما دنا أجل النبي ﷺ عارضه جبريل بالقرآن مرتين فقد ورد في صحيح البخاري قال مسروق عن عائشة رضي الله عنها، عن فاطمة عليها السلام: «**أَسَرّ إِليَّ النبيُّ ﷺ أن جبريل يعارضُني بالقرآن كلَّ سنة، وأنَّه عارضني العام مرتين، ولا أُراهُ إلاّ حضر أجلي**».

٥- تعليم النبي ﷺ القرآن بنفسه: فقد باشر النبي ﷺ تعليم المسلمين القرآن بنفسه، وأمره الله عز وجل بأن يقرأه على الناس على مكث، أي: تؤدَة وتمهل، كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه .

كما قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وأخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**والله**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦).

لقد أَخذتُ من فِي رسولِ الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة»[١].

وأخرج عنه أنه قال: «**كنا مع رسول الله ﷺ وأُنْزِلتْ عليه والمرسلات، وإنا لنتلقَّاها من فِيه**»[٢].

وأخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « **كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن**». وفي رواية ابن رُمْح «**كما يُعَلِّمنا القرآن**».[٣]

وأخرج الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «**حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يُخلِّفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعا**»[٤].

وكان من نتيجة ذلك أن كثر الحفاظ في عهد النبي رسول الله ﷺ، وكانوا يعرضون علىٰ النبي ﷺ القرآن ويقرؤونه عليه فقد أخرج البخاري في "صحيحه": عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ، قلتُ: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن اسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** [النساء: ٤١] **قال: أمسك، فإذا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٧١٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٤٦٤٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم(٦٠).

(٤) "تفسير ابن جرير" (١/ ٨٠) برقم (٨٢) وسنده صحيح.

عيناه تذرفان »[١] وكان مسجده ﷺ عامراً بتلاوة القرآن يضج بأصوات الحفاظ فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .

وخير دليل على كثرة الحفاظ في زمن الرسول ﷺ أنه قتل منهم في بئر معونة المعروفة بـ «سرية القراء» سبعون رجلاً، كما قتل منهم يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبعون قارئاً.

وذكر أبو عبيد في كتابه "القراءات" عدداً كبيراً من القراء أصحاب النبي ﷺ، فذكر كثيرا من المهاجرين، وكثيرا من الأنصار، وبعض أزواج النبي ﷺ.

ويتبين من ذلك أن الله عز وجل حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله ﷺ ثم أصحابه رضوان الله عليهم والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك، ولعل من أبرز دواعي حفظه – غير تكفل الله عز وجل بحفظه – ما يلي:

١ – مجيء القرآن الكريم معجزاً متميزاً في نظمه، فريداً في أسلوبه، لا يطاوله كلام البلغاء، ولا تدنو منه فصاحة الفصحاء، وكان الصحابة ينتظرونه بشغف ويتمنون أن يتلقوه فور نزوله، كما كان أعداء الرسول ﷺ يحرصون على سماعه، إما للبحث عن نقط ضعف فيه تعينهم على مغالبته أو مهاجمته، وإما لإشباع حاجتهم الملحة في التذوق الأدبي، ويمكننا أن نتصور إذن مدى الاهتمام الذي كان يثيره القرآن في نفوس المؤمنين

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٧٦٨)

والكافرين على السواء[١].

٢- تشريع قراءة القرآن الكريم في الصلاة فرضاً كانت أم نفلاً، سراً أم جهراً، مما جعلهم يحرصون على حفظ القرآن الكريم لأداء هذه العبادة.

أخرج مسلم في "صحيحه"، عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا، إذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مَرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع**»[٢].

٣- ارتباط القرآن الكريم بالتشريعات، فإن كثيراً من آياته تحوي أحكاماً في العبادات: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأحكاما في المعاملات كالبيع والشراء والدَّين وأحكاما في سائر أمور الحياة، فلا بد أن يستظهروه ليعملوا بمقتضاه.[٣]

٤- الترغيب في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتعلمه وتعليمه، وقد ورد ذلك في القرآن نفسه، وفي أحاديث رسول الله ﷺ وهي أكثر من أن تحصى ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا**

---

(١) "المدخل إلى القرآن الكريم" ص(٣٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٠٣)

(٣) انظر "أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف" ص(٢٨، ٢٩) و"جمع القرآن حفظاً وكتابة" للدكتور سليمان العبيد ص(٦٣)

﴿وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[فاطر: ٢٩-٣٠].

وقوله ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران** »(١).

وقوله ﷺ فيما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢).

وقوله ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تَفَصِّيا من الإبل في عقلها**»(٣).

٥- سهولة حفظ القرآن الكريم وتيسيره، فكان من رحمة الله على خلقه أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، ليجعل من ذلك سبباً مانعاً من ضياع شيء منه، فكما قال عز وجل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر الآية ٩]،و قال أيضاً: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"(٢٤٤)

(٢) أخرجه البخاري في" صحيحه" (٤٧٣٩)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم(٤٧٤٦)

الفصل الخامس

جمع القرآن

جـمـع القــرآن

إن لفظ الجمع حين يطلق في زمن النبي ﷺ يقصد به حفظه عن ظهر قلب وكتابته على الأدوات المتوفرة ذلك الوقت . وحين يطلق في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقصد به كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور . وحين يطلق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقصد به نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمصاحف متعددة . وسنتناول بالتفصيل - إن شاء الله - هذه المراحل في المباحث التالية:

أولا: معنى جمع القرآن:

معناه لغة: الجَمْع: مصدر الفعل "جَمَع"، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً.

قال الراغب الأصفهاني:الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضِهِ من بعض، يقال: جمعته فاجتمع.[1] اهـ

وقال ابن منظور في "اللسان" مادة جمع: جَمَعَ الشيءَ عن كل تفرقة يجمعه جمعا، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء: إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمَّع القوم: اجتمعوا أيضا من ههنا وههنا.

وقال الفيروز ابادي في "القاموس" مادة جمع: الجمع: تأليف المُتَفَرِّق.

ويلاحظ في هذه المعاني أن اشتقاق كلمة "جَمَع" تدل على الجمع والاجتماع

---

(١) "مفردات القرآن" ص(٩٦)

والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به

معنى جمع القرآن في الإصطلاح:جمع القرآن في الإصطلاح يطلق ويراد به معنيين:

الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور:

ويدل له قوله تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:١٦- ١٧].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ ولهذا قال: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ أي: بالقرآن، كما قال: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤] .

ثم قال: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**﴾ أي: في صدرك، ﴿**وَقُرْآنَهُ**﴾ أي: أن تقرأه، ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل، ﴿**فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ أي: فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.[1] اهـ

(١) "تفسير ابن كثير"(٨/ ٢٧٨).

وما جاء عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – أنه قال: «جمعتُ القرآن فقرأته كلَّه في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تملَّ، فاقرأه في شهر، فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال: فاقرأه في عشرة، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: فاقرأه في سبع، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى»[(١)]

فمعنى قوله: جمعت القرآن أي: حفظته عن ظهر قلب .

ومنه قولهم: «جُمَّاع القرآن » أي: حفاظه .

الثاني: جمعه بمعنى كتابته:

ويدل له ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في قصة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ومما ورد فيه:قول عمر بن الخطاب لأبي بكر – رضي الله عنهما: «**وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن** »،وقول أبي بكر الصديق لزيد بن ثابت – رضي الله عنهما: «**فتتبع القرآن فاجمعه** » أي: اكتبه كله .

وقول زيد بن ثابت – رضي الله عنه –: « **فتتبعت القرآن أجمعه من العسف واللخاف وصدور الرجال**».

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه برقم(١٣٤٦) وصححه الألباني رحمه الله

وإذا نظرنا إلى أشهر أسماء القرآن الكريم، فإننا سنجد فيها اسمين يدلان على المعنيين:

الأول: القرآن .

الثاني: الكتاب .

فالاسم الأول «القرآن »: إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الأول، وهو الحفظ في الصدور . فالقرآن: لفظ مشتق من الفعل "قرأ" بمعنى تلا، فهو مرادف للقراءة، ودل على هذا قوله عز وجل ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه: ١١٤] أي: لا تعجل بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءته . وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: قراءة القرآن في هذا الوقت تشهدها الملائكة ويشهدون بها.

والاسم الثاني «الكتاب»: إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الثاني وهو الحفظ في السطور، فالكتاب في الأصل مصدر، ثم سمي المكتوب فيه كتاباً.

قال السخاوي: ومن أسمائه – أي القرآن – الكتاب، سمي بذلك، لأن الكَتْبَ الجمع يقال:كتب إذا جمع الحروف بعضها على بعض، وتكَتَّب بنو فلان، أي: اجتمعوا.(١)

وقال الدكتور محمد دراز: روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في

(١) "جمال القراء وكمال الإقراء"(١/ ٢٨)

تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ... فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.[1] اهـ

وجمع القرآن بالمعنى الثاني: (بمعنى كتابته) له مراحل متعددة:

الأولى: جمع القرآن في عهد النبيﷺ.

الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الثالثة:جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه.

وإليك تفصيل هذه المراحل في المباحث التالية.

(١) "النبأ العظيم" ص(١٢)

المبحث الأول: جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ

أولا: الأدلة على كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ:

لقد وردت أدلة كثيرة تدل على كتابة القرآن الكريم في عهده ﷺ ومبادرته بالأمر بكتابته أذكر منها ما يلي:

١- إطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[البقرة: ٢]، فالكتاب يدل على أن القرآن مكتوب كما سبق بيانه.

٢- أن الكتابة من الصفات الثابتة للقرآن الكريم حيث قال عز وجل: ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ [البينة الآيتان ٢، ٣].

قال الفخر الرازي في تفسيره لهاتين الآيتين: فاعلم أن الصحف جمع صحيفة، وهي ظرف للمكتوب.

٣- ما ورد من الأحاديث الدالة على وجود القرآن الكريم مكتوباً في عهد النبي ﷺ ومن ذلك:

* ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: « **أن رسول الله ﷺ نهى أن يُسَافر بالقرآن إلى أرض العدو**».

وغير ذلك من الأخبار الدالة على أن القرآن الكريم كان مكتوباً في عهده ﷺ .

٤- إذنه ﷺ بكتابة القرآن الكريم. فقد أخرج مسلم في صحيحه(٧٢) عن أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول اللهﷺ قال: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**». فهذا الحديث يدل على نهي النبي ﷺ للصحابة كتابة شيء غير القرآن، وأن القرآن كان مأذونا لهم في كتابته .

٥- أن النبي ﷺ كان له كُتَّاب يكتبون له الوحي، وكان يأمرهم بكتابته فور نزوله، فقد أخرج البخاري، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «لما نزلت: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ٩٥].دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضَرَارتَهُ فأنزل الله: ﴿**غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾.وفي رواية أخرى عن البراء قال: «لما نزلت: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ قال النبي ﷺ: ادعوا فلانا، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: اكتب ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**﴾ وخلّف النبي ﷺ ابنُ أم مكتوم، فقال:يا رسول الله أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾»[(١)] .

وأخرج البخاري وغيره أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: «**كنت تكتب الوحي لرسول الله** ﷺ».

فهذه الأحاديث تدل على أن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي ويدعوهم لكتابته فور نزوله .

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم(٢٦٧٦)

ثانيا: كُـتـاب الوحي:

كان للنبي ﷺ كُتَّاب يكتبون له ما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم وسوره، وما يحتاجه من مكاتبات في شؤون الرسالة والدعوة وحوائج الناس واختلفت المصادر في تعدادهم وذِكْرهم، حتىٰ أوصلها بعضهم إلىٰ أربعة وأربعين كاتباً، ولعل السبب في ذلك هو جمعهم بين من كتب التنزيل وغيره وبين من كتب في شؤون الرسالة والدعوة ونحوها دون التنزيل، أو بين من كتب التنزيل بصفة رسمية وبين من كتبه لنفسه .

والذي اشتهر بكتابة التنزيل بين يدي النبي ﷺ كتاب وهم:

١-عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري أول من كتب للنبي ﷺ بمكة، حيث لم يكن بها أحد يعرف الكتابة سوىٰ نفرٍ قليل . وقد اتخذه النبي ﷺ كاتبا للتنزيل في أول الأمر، ثم أزله الشيطان وأغواه فارتد عن الإسلام، ولما كان يوم فتح مكة أسلم وحسن إسلامه، وعاد لكتابة التنزيل توفي سنة ٣٦هـ

٢- عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وممن كتب للنبي ﷺ التنزيل وغيره، يقول الذهبي: «**هو أفضل من قرأ على النبي**ﷺ» . وقد شاء الله عز وجل أن يستقر المصحف علىٰ هيئته الخالدة علىٰ يده رضي الله عنه . توفي سنة ٣٥هـ .

٣- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين وممن كتب للنبي ﷺ أكثر التنزيل، كما كتب له كثيراً من العهود وعقود الصلح . توفي رضي الله عنه سنة ٤٠هـ .

٤- أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أول من كتب للنبي ﷺ عند قدومه المدينة، كما كان يكتب ما يأمره به الرسول ﷺ من الكتب والرسائل وهو سيد القراء توفي سنة ٣٠هـ.

٥- زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كان أكثر الكتاب ملازمة للكتابة حيث لا عمل له غير ذلك، ولكثرة تعاطيه ذلك خصه البخاري في صحيحه بتسميته «كاتب النبي ﷺ» توفي سنة ٤٥هـ.

٦- معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، طلب أبوه من النبي ﷺ في فتح مكة أن يجعله كاتباً بين يديه، فكان بعد ذلك ملازماً للكتابة بين يدي الرسول ﷺ في التنزيل وغيره توفي سنة ٦٠هـ.

هؤلاء ستة كُتَّاب للتنزيل كتبوه بصفة رسمية بين يدي الرسول ﷺوكانوا يضعون ما يكتبون في حجرات النبي ﷺ، ولا يعني هذا أن الوحي لم يكتبه غيرهم، فقد كتبه غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم كأبي بكر وعمر وابن مسعود وغيرهم، ولكن هذه الكتابة كانت لأنفسهم دون تكليف من الرسول ﷺ.[1]

(١) انظر "الفتح"(٩/ ٢٢).

ثالثا: الأدوات التي كتب عليها الوحي:

كان كُتَّاب الوحي يكتبون القرآن فيما كان ميسراً لهم في زمنهم، ومن الأدوات التي كتب فيها:

١- **الرِّقاع**: وهي جمع رقعة، وهي القطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق، وهو غالب ما كتب عليه الوحي . قال زيد بن ثابت: «**كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع**».

٢- **الأكتاف**: وهي جمع كتف، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان.

قال السيوطي: هو العظم الذي للبعير أو الشاة.

قال زيد بن ثابت بعد أن أُمِر بجمع القرآن: «**فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال**».

٣- **العُسُب**: وهو جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض

٤- **اللِّخاف**: وهو جمع لَخَفَة، وهي صفائح الحجارة.قال زيد بن ثابت: «**فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف**».

٥- **الأقتاب**: وهو جمع قتب، وهو قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه الإنسان.

قال زيد بن ثابت في رواية ابن أبي داود: «**فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعسب وصدور الرجال**».

٦- **اللوح**: وقد ورد ذكره في حديث البراء قال :لما نزلت ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**﴾ . قال النبي ﷺ « ادع لنا زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة، ثم قال: اكتب ﴿**لا يستوي القاعدون**﴾. وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى قال يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولي الضرر**﴾».

ومما كانوا يكتبون فيه: الصحف والكرانيف وغيرها.

رابعا: الصفة التي كتب عليها القرآن في عهد النبي ﷺ:

بعد أن بينَّا أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي ﷺ، يمكننا أن نقرر بأن القرآن الكريم لم يستظهر في عهد الرسول ﷺ فحسب، بل دُوِّن كاملاً وهذا التدوين اتصف بصفات أبرزها:

١- أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم كله كان مكتوباً، كتبه كُتَّاب خاصون بهذه المهمة، وبتوجيهات منه ﷺ لهم .

٢- أن أمر النبي ﷺ بكتابة القرآن لكريم كان عامّا، ولم يكن بجمعه في صحف؛ ولهذا لم يكن مجموعاً في مكان ومصحف واحد، قال زيد بن ثابت: «**قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء**» .

٣- أن كتابة القرآن الكريم تمت على أدوات متنوعة وغير متجانسة مما جعله غير

مرتب ومحصور بين دفتين .

٤- أنه لم يكن مرتب السور، لأنه كُتب أولاً بأول على حسب نزوله، وترتيب القرآن الكريم ليس على حسب النزول بالإجماع، مع العلم أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلاّ بعد أن علَّم الصحابة بترتيب القرآن الكريم سورا وآيات، حتى صاروا يقرؤون القرآن الكريم كاملاً مرتباً على نحو ما أمر به ﷺ بتعليم من جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في كل عرضة يعرض فيها القرآن على الرسول ﷺ .[1]

خامسا: السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده ﷺ:

لم يجمع القرآن الكريم في عهده ﷺعلى هيئة مصحف لأسباب منها:

١- ما كان يترقبه النبي ﷺ من تتابع نزول الوحي حيث كانت تنزل بعض آيات سورة من السور، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى - قبل تلك السورة أو بعدها - ثم يستأنف الوحي آيات السورة الأولى .. وهكذا حتى كمل التنزيل . ولاشك والحالة هذه استحالة جمع القرآن الكريم مباشرة عند نزوله في مصحف واحد؛ إذ يلزم ذلك تغييراً مستمراً في الأدوات التي كتب عليها.

٢-أن المدة بين آخر ما نزل من القرآن الكريم وبين وفاته ﷺ قصيرة جداً، وهي غير كافية لجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد.

٣- أنه لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر

---

(١) انظر "جمع القرآن حفظاً وكتابة" ص(٣٥) للدكتور: علي بن سليمان العبيد

الصديق رضي الله عنه، فقد كان المسلمون في عهد النبي ﷺ بخير وأمن، والقراء كثيرون، والفتنة مأمونة، وفوق هذا الرسول ﷺ بينهم، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مقتل الحفاظ حتى خاف على ضياع القرآن الكريم.

٤- وقوع النسخ لبعض الآيات.

يقول الزركشي:وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يرد على بعضه فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الإختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفّق لجمعه الخلفاء الراشدين.(١) اهـ

وقال الخطابي: إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.(٢) اهـ

٥- ما ضمنه الله تعالى لرسوله ﷺ من الأمان من نسيان القرآن.

قال الحارث المحاسبي كما نقله الزركشي في "البرهان":فإن قيل: كيف لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك؟ قيل لأن الله تعالى كان قد أمنه من النسيان بقوله: ﴿**سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاء اللهُ**﴾ أن يرفع حكمه بالنسخ فحين وقع الخوف من نسيان الخلق

---

(١) "البرهان"(١/ ١٦٨)

(٢) "الإتقان" ص(١٥٣)

حدث ما لم يكن فأحدث بضبطه ما لم يحتج إليه قبل ذلك.اهـ

المبحث الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

أولا: سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

لقد أشار الشاطبي رحمه الله في عقيلته إلى السبب في ذلك فقال:

إن اليمامة أهواها مسيلمة الـ ... كذاب في زمن الصديق إذ خسرا

وبعد بأس شديد حان مصرعه ... وكان بأساً على القراء مستعراً

نادى أبا بكر الفاروق خفت على الـ ... قراء فادرك القرآن مستطراً

وقد دلت الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن سبب جمعه يعود إلى خوف الصحابة رضوان الله عليهم من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك أو موتهم، فكتابته مجموعاً في مصحف واحد فيه أمان وحفظ له مما قد يحصل في المستقبل.

ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري في "صحيحه" عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :«**أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ**

فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه»[1].

ثانيا: سبب تردد أبي بكر الصديق في قبول عرض عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن:

نلحظ من حديث زيد بن ثابت السابق الذي رواه البخاري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تردد – في أول الأمر – في قبول عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم. ولعل السبب في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه ظن أن جمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد بدعة في الدين، فخاف أن يحدث فيه ما لم يفعله الرسولﷺ أو يأمر به، ولذلك قال رضي الله: «**كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ**»؟

قال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً، ثم زيد بن ثابت ثانياً، لأنهما لم يجدا رسول الله

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٧٠١).

ﷺ فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول.[١]

ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ يقنع أبا بكر بصواب الفكرة، وأن في هذا الأمر خيراً، ولم يزل به حتى اقتنع بأهمية ذلك، ولذا قال: «**فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك**» .

وبنفس الاقتناع اقتنع زيد في آخر الأمر حيث قال: «**لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**» .

ثالثا: سبب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه:

لقد أبان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه الصفات التي جعلته يختار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم حيث قال: «**إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺفتتبع القرآن فاجمعه**» ويمكن إيضاحها بما يلي:

١- إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفتر عزيمته أثناء العمل .

٢- إنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يعمله، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل .

٣- إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى

---

(١) "فتح الباري" (٩/ ١١).

ريبة أو شك، ويؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله: «**فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن**» .

٤- إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن ﷺ ويكفي بها مزية .

هذا ما ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

٥- أنه كان من حفاظ القرآن الكريم:

قال أبو بكر الأنباري: ولم يكن الإختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله أفضل من زيد،وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل إلا لأن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله نيف وسبعون سورة ثم تعلم الباقي بعد وفاة رسول الله فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله حي أولى بجمع المصحف، وأحق بالإيثار والإختيار....[(١)]

٦- شهوده العرضة الأخيرة للقرآن:

فقد روى البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها

(١) "مقدمة تفسير القرطبي"(١/ ٦٤).

حتىٰ مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتْب المصاحف، رضي الله عنهم أجمعين.[١] اهـ

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله علىٰ ذلك كما سيأتي.

ولذا قال الشاطبي في عقيلته:

فـأجمعوا جمعـه في الصـحف واعتمـدوا زيـد بـن ثابـت العـدل الـرضى نظـرا

رابعا: منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن:

من خلال الأحاديث الواردة يتبين أن زيد بن ثابت وضع لنفسه منهجاً دقيقاً وطريقاً محكماً ليضمن الحيطة في جمع كتاب الله، والدقة والحذر، ولم يكتف بما حفظه في قلبه، ولا بما كتب بين يدي رسول الله بل جعل يتتبع ذلك كما ورد في حديثه قال: «**فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾.حتى خاتمة براءة**».

وكان منهج زيد يقوم على أسس وهي:

١-أن يكتب ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.كما ورد في الحديث السابق:« **فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف**»

قال الحافظ ابن حجر: وفائدة التتبع المبالغة في الإستظهار والوقوف عندما كتب

---

(١) "البرهان" للزركشي(١/ ١٧٠).

بين يدي رسول الله ﷺ.[١]

وقال الزركشي في "البرهان": وتتبعه-أي زيد- للرجال كان للإستظهار لا لاستحداث العلم.

٢- ما كان محفوظاً في صدور الرجال كما ذكر ذلك في الحديث السابق قول زيد بن ثابت: «**وصدور الرجال**».

خامسا: مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق:

مما سبق ذكره يتبين لنا جلياً مميزات لجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات، من أبرزها:

١- **قال الزرقاني**:أن كتابة هذه الصحف امتازت بأنها جمعت القرآن على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي[٢].

٢- أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بين أهل العلم.

٣- موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة، وقد سبق أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ممن شهد العرضة الأخيرة وهو من أسباب اختيار زيد لجمع القرآن.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والعرضة الآخرة هى قراءة زيد بن ثابت

---

(١) "الفتح"(٩/ ٢٠).

(٢) "مناهل العرفان"(١/ ١٧٦)

وغيره وهى التى أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بكتابتها فى المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر فى خلافة أبى بكر فى صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان فى خلافته بكتابتها فى المصاحف وإرسالها الى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة على وغيره.[١]

٤- اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن .

٥-اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.

وأشار إلى هذا الشاطبي في عقيلته بقوله:

من كل أوجهه حتى استتم له بالأحرف السبعة العليا كما اشتهرا

قال السخاوي: وأما قوله: «وصدور الرجال» فإنه كتب الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن فكان يتتبعها من صدور الرجال ليحيط بها علماً، ودليل ذلك أنه كان عالماً بالآيتين اللتين في آخر براءة، ثم لم يقنع بذلك حتى طلبهما وسأل عنهما غيره فوجدهما عند خزيمة، وإنما طلبهما من غيره مع علمه بهما؛ليقف على وجوه القراءة والله أعلم.[٢] اهـ

قال الزركشي: وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن.[٣] اهـ

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٥)

(٢) "جمال القراء وكمال الإقراء"(١/ ٨٨)

(٣) "البرهان"(١/ ١٧١)

٦- تمتعت طريقة أبي بكر في جمع القرآن برضاء الأمة، وإجماعها،وتواتر ما فيها، وثناء كبار الصحابة حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع بين اللوحين**».[١]

قال الزركشي: وكان ما يجمعون وينسخون معلوماً لهم بما كان مثبتاً في صدور الرجال وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاه علي بن أبي طالب وحمد أثره فيه.[٢]

تنبيه: لا يطعن في هذا التواتر ما ذكر في حديث زيد بن ثابت من أن آخر سورة براءة لم توجد مع أبي خزيمة.

فقد قال الحافظ ابن حجر: قوله: (لم أجدها مع غيره) أي: مكتوبة لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بمجرد الحفظ دون الكتابة، ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من الرسول، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة، ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد.

ثم قال الحافظ: والحق أن المراد بالنفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونها محفوظة.[٣] اهـ

وقال الزركشي: فأما قوله: «**وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت ولم أجدها مع**

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" برقم (١٥)وسنده حسن.

(٢) "البرهان" (١/ ٢٣٥)

(٣) "الفتح"(٩/ ٢٠)

غيره»، يعنى ممن كانوا فى طبقة خزيمة لم يجمع القرآن، وأما أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل فبغير شك جمعوا القرآن والدلائل عليه متظاهرة.[١] اهـ

سادسا: خبر هذا الصحف:

دل الحديث السابق الذي أخرجه البخاري على أن الصحف التي جمع فيها القرآن سلمت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فحفظها عنده، حتى توفي سنة ١٣هـ، ثم آلت إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى توفي سنة ٢٣هـ، وبعد وفاته بقيت عند ابنته حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها، لأن عمر رضي الله عنه جعل أمر الخلافة من بعده شورى، فبقى عندها إلى أن طلبه عثمان بن عفان رضي الله عنه لنسخها، ثم أعادها إليها مرة أخرى .

وبقي عندها حتى أرسل مروان بن الحكم يسألها إياه فامتنعت، ولما توفيت أرسل مروان إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنها - ساعة رجعوا من جنازة حفصة - ليُرْسِلَنّ إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه، فأمر بها مروان فشققت، فقال مروان: «**إنما فعلتُ هذا، لأن ما فيها قد كتب، وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يَرْتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب**»[٢].

---

(١) "البرهان"(١/ ٢٣٩)

(٢) أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" بسند صحيح.

قال الشاطبي في عقيلته:

فأمسك الصحف الصديق ثم إلى الفاروق أسلمها لما قضى العمرا

وعند حفصة كانت بعد ....

المبحث الثالث:

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولا: سبب جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

نورد حديث حذيفة الذي فيه قصة الجمع فقد أخرج البخاري في "صحيحه" عن أنس بن مالك رضي الله عنه،« **أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم فافعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق**»[(١)].

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٧٠٢)

آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾. فألحقناها في سورتها في المصحف

فمن خلال ما سبق ذكره في الحديث يتبين أن سبب الجمع ما يلي:

١- رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم، وقطع المراء فيه، وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم .

قال الزرقاني مبيناً سبب هذا الجمع: اتسعت الفتوحات في زمن عثمان، وتفرق المسلمون في الأمصار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة ماسة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول، وكان أهل كل أقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسة الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف بل كان هذا الشقاق أشد لبعد عهد هؤلاء بالنبوة، وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون إلى حكمه، ويصدرون جميعاً عن رأيه، واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضاً، وكادت تكون فتنة في الأرض، ولم يقف هذا الطغيان عند حد بل كاد يلفح بناره جميع

البلاد الإسلاميه حتىٰ الحجاز والمدينة، وأصاب الصغار والكبار سواء.[١] اهـ

٢- حماية النص القرآني من أي إضافة أو نقص نتيجة وجود عدد من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت علىٰ ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير، أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن.

وقد أشار االشاطبي في عقيلته إلى السبب بقوله:

وعند حفصة كانت بعد فاختلف الـ ... قراء فاعتزلوا في أحرف زمرا
وكان في بعض مغزاهم مشاهدهم ... حذيفة فرأىٰ في خلفهم عبرا
فجاء عثمان مذعوراً فقال له ... أخاف أن يخلطوا فادرك البشرا

ثانيا: منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي اللّه عنه:

من خلال الحديث السابق يتبين لنا المنهج الذي صار عليه عثمان في جمعه للقرآن وهو كما يلي:

١- بدأ عثمان رضي الله عنه بأن خطب في الناس فقال: «أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: "قراءة أبي " و"قراءة عبد الله " يقول الرجل: "والله ما تقيم قراءتك"!! فأعزمُ علىٰ كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتىٰ جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم، لسمعت رسول الله ﷺ وهو

(١) "مناهل العرفان" (١/ ١٧٨) بتصرف يسير.

أملاه عليك؟ فيقول نعم»[(١)].

٢- اعتباره الصحف التي جمعها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أساسًا في نسخ المصاحف حيث أمر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بإحضارها من حفصة بنت عمر أم المؤمنين حيث قال لها: «**أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك**».

٣- اختار بعض الصحابة للقيام بهذا الجمع كما جاء في الحديث السابق« **فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف**».

٤- إشراف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - المباشر على الجمع حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام . أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح عن كثير بن أفلح أنه قال: «**وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه**»[(٢)].

٥-رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك . أخرج البخاري في "صحيحه" أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة)قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا**﴾[البقرة:٢٤٠] قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلِمَ تَكْتُبُها؟ أَوَتَدَعُها؟ قال: يابن

(١) أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" برقم(٨٢) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" برقم(٨٨) وسنده صحيح.

أخي لا أغير شيئًا من مكانه»[(١)].

٦- استيثاق اللجنة مما يكتبونه وبخاصة فيما تعددت فيه القراءة حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به لا عن قرآنيته، فإن ذلك عرف في جمع أبي بكر، لأنه - رضي الله عنه - أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها على جميع القراءات التي قرأها الرسول ﷺ، ليقضي على الفتنة التي حدثت بين المسلمين بسبب جهلهم هذه القراءات .

٧- عند اختلاف اللجنة في كتابة كلمة فإنهم يكتبونه بحرف قريش . حيث قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - للرهط القرشيين الثلاثة: «**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم**».

وقد ورد في بعض روايات حديث أنس بن مالك السابق من طريق الزهري أنه قال:«**فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت وقال زيد: التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش**»[(٢)].

٨- أن تكتب المصاحف خالية من النقط والشكل حتى تكون محتملة للقراءات الثابتة عن النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٢٥٦)

(٢) الصواب في هذه الزيادة أنها مرسلة قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"(٨/ ٦٣٥):وهذه الزيادة أدرجها إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع في روايته عن ابن شهاب في حديث زيد بن ثابت قال الخطيب:وإنما رواها ابن شهاب مرسلة.

قال أبو عمرو الداني: وإنما أخلي الصدر الأول من المصاحف من الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات، والفسحة في القراءات التي أذن الله لعباده في الأخذ بها والقراءة بما شاءت منها فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها.[(١)] اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين كالتاء والياء والفتح والضم وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، ويكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهاً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين فإن أصحاب رسول الله تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه اليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً.[(٢)]

وبنحو كلامه قاله ابن الجزري رحمه الله في كتابه "النشر"(١/ ٣١).

فإذا كان في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أيَّة علامة تقصِرُ النطقَ بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعاً مثل:

أ - ﴿**فَتَبَيَّنُوا**﴾[الحجرات: ٦] التي قُرئت أيضاً ﴿**فتثبتوا**﴾.

ب - ﴿**نُنْشِزُهَا**﴾[البقرة: ٢٥٩] قُرئت أيضاً ﴿**ننشرها**﴾.

---

(١) "المحكم" ص(٢)

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٤٠٢)

أما إذا لم يمكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل:

أ - ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ [البقرة: ١٣٢] هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها ﴿**وأوصى**﴾.

ب - ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ (آل عمران: ١٣٣) بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو.

ثالثا: مميزات الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه:

١-الإقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة، وإهمال ما عداه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أثناء كلامه على علاقة القراءات السبع بالأحرف السبعة: فالذى عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة بل يقولون: **إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة وهو متضمن للعرضة الآخرة التى عرضها النبى على جبريل** والاحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا.[1]

٢- اشتماله على أوجه القراءات المتعددة الثابتة عن النبي ﷺ.

٣- إهمال ما نسخت تلاوته. قال القاضي أبو بكر الباقلاني في "الإنتصار":لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٥)

الثابتة المعروفة عن النبىٰ ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة علىٰ من يأتىٰ بعد.اهـ[١]

٤- تميزت كتابة المصاحف في عهد عثمان بأنها مرتبة الآيات والسور علىٰ الوجه المعروف الآن بخلاف مصحف أبي بكر فقد كانت مرتبة الآيات وأما ترتيب السور ففيه خلاف.

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره علىٰ ما وقفهم عليه النبي ﷺ.

وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتىٰ قرؤوه بلغاتهم علىٰ اتساع اللغات فأدىٰ ذلك بعضهم إلىٰ تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات علىٰ لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأىٰ أن الحاجة إلىٰ ذلك قد انتهت فاقتصر علىٰ لغة واحدة.[٢]

---

(١) "البرهان" (١/ ٢٣٥)

(٢) "الإتقان" ص(١٥٨).

رابعا: عدد المصاحف العثمانية وإلى أين أرسلت؟

بعد أن نسخ عثمان رضي الله عنه المصاحف أرسل منها إلى الأمصار، وأرسل مع كل مصحف إمامً يقرئ أهل ذلك البلد بقراءتهم وفق مصحفهم، واختلف في عدة المصاحف التي أمر عثمان بكتابتها

١- ذهب بعضهم إلى أنها أربعة:

مصحف إلى الشام، وبعث به المغيرة بن شعبة، ومصحف إلى الكوفة وبعث به أبو عبد الرحمن السلمي، ومصحف إلى البصرة وذهب به عامر بن قيس، ومصحف بالمدينة، وأمر زيداً أن يقرئ الناس به.

٢- وقيل أنها خمسة مصاحف الأربعة المذكورة، والخامس مصحف إلى مكة، وبعث به عبد الله بن السائب، وقد رجح هذا الحافظ ابن حجر، والسيوطي[١]

٣- وقيل أنها ستة مصاحف الخمسة المذكورة، والسادس أرسل به إلى البحرين، ولا يعلم من أرسل به.

٤- وقيل أنها سبعة مصاحف الستة المذكورة، والسابع أرسل به إلى اليمن.

قال ابن أبي داود: (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن، كتب سبعة مصاحف، فبعث واحداً إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة

(١) "الفتح"(٩/ ٢٧)، "الإتقان" ص(١٥٩)،

واحداً)[١].

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول. وقد رجحه الداني فقال:

أكثر العلماء على أنها كانت أربعة، أرسل واحداً منها للكوفة، وآخر للبصرة، وآخر للشام، وترك واحداً عنده، ورجحه القرطبي[٢][٣].

وقد أشار إلى هذا الشاطبي في "عقيلته" بقوله:

وسار في نسخ منها مع المدني كوف وشام وبصر يملأ البصرا

وقيل مكة والبحرين مع يمن ضاعت بها نسخ في نشرها قطرا

خامسا: أخبار الصحف بعد نسخ المصاحف وإرسالها:

ورد في حديث أنس السابق الذي أخرجه البخاري: «**فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق**» .

فالصحف التي نسخ منها عثمان رضي الله عنه فقد ردها إلى حفصة كما جاء في الحديث السابق، «**حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة**» وبقيت عندها حتى كان عهد مروان بن الحكم فأرسل إليها يسألها الصحف التي كتب منها القرآن فأبت أن تعطيه فلما توفيت أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر

---

(١) "المصاحف" برقم(١١٤) وفيه انقطاع أبو حاتم لم يدرك عثمان.

(٢) "المقنع" ص(١٠)"تفسير القرطبي" (١/ ٦٤)

(٣)انظر"البرهان"(١/ ١٧٢)،"الإتقان"(١٥٩)،"مناهل العرفان"(١/ ٤٠٣)"المدخل لدراسة القرآن" (٢٨٠).

فأرسل بها إليه فأمر بها فأحرقت.[١]

والسبب في إحراقها كما جاء في بعض الروايات أنه قال: «**إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب**»

أما الصحف التي كانت بالأمصار قبل نسخ عثمان للمصاحف فقد أمر عثمان بإحراقها كما ورد في الحديث السابق وقد استجاب الصحابة كلهم لذلك، وقاموا بحرق مصاحفهم، حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإنه بعد أن امتنع في أول الأمر رجع طواعية لما علم صواب ذلك، وأن مصلحة الأمة فيما فعله عثمان .

وقد أشار إلى ذلك ابن أبي داود في كتاب "المصاحف"ص(٨٢) حيث عقد له بابًا سماه: (رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف).

وروى ابن أبي داود، وأبو عبيد، عن مصعب بن سعد قال: «**أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد**».[٢]

قال الحافظ: قوله:«وأمر بما سواه» أي بما سوى المصحف الذي استكتبه، والمصاحف التي نقلت منه، وسوى الصحف التي كانت عند حفصة وردها إليها، ولهذا استدرك مروان الأمر بعدها، وأعدمها خشية أن يقع لأحد منها توهم أن فيها ما يخالف المصحف الذي استقر عليه الأمر.[٣] اهـ

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتابه "المصاحف"برقم(٨٥) وسنده صحيح .

(٢) "المصاحف" برقم(٤١) "فضائل القرآن" ص(١٥٦)وسنده صحيح.

(٣) "الفتح"(٩/ ٢٦)

وقال علي هنداوي: وإنما أمر عثمان بإحراق الصحف والمصاحف؛ لأنها كانت خاصة بأشخاص الصحابة فكانوا يكتبون بين آياتها تفسيرات لهم، فهنا خشي عثمان أن تتلقى البلاد الإسلامية مصاحفه التي أرسلها إليهم وعندهم شيء من مصاحف الصحابة المذكور فيها تلك التفسيرات والتوضيحات فلا يستطيعون التمييز بين أسلوب القرآن وبين ما زاده الصحابة في مصاحفهم.[١]

(١) "جامع البيان في رسم القرآن" ص(١٦).

الفصل السادس
ترتيب القرآن

المبحث الأول: ترتيب الآيات في السور

نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي متلقى عن النبيﷺ منهم القاضي عياض، والزركشي، والسيوطي، والقاضي الباقلاني، والكرمي.[١]

قال الزركشي: وأما ما يتعلق بترتيبه فأما الآيات فى كل سورة وضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفى بلا شك ولا خلاف فيه ولهذا لا يجوز تعكيسها.

قال مكى وغيره: ترتيب الآيات فى السور هو من النبى ﷺ ولما لم يأمر بذلك فى أول براءة تركت بلا بسملة.

وقال القاضى أبو بكر: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا.اهـ[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة؛ لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً.

---

(١) انظر "البرهان"(١/ ٢٥٦)"الإتقان"(١/ ١٦٧)"الناسخ والمنسوخ" للكرمي (٢٣٢) شرح النووي على مسلم(٦/ ٦٢)

(٢) "البرهان"(١/ ٢٥٦)

وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم.[١]

المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن

اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو بتوقيف من النبي ﷺ أو باجتهاد من الصحابة، أو فيه تفصيل، على ثلاثة أقوال.

* **القول الأول**: ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن ترتيب السور حصل باجتهاد من الصحابة منهم مالك، والقاضي أبوبكر في أحد قوليه واستقر عليه،وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، وابن عثيمين وغيرهم.

مما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي بن أبي طالب كان أوله اقرأ ثم البواقي على ترتيب نزول المكي ثم المدني، ثم كان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبي بن كعب وغيره.

كذلك مما استدل به على هذا القول حديث حذيفة رضي الله عنه قال: صليت وراء النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح... إلى آخره.

قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: فيه دليل لمن يقول أن ترتيب السور

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٣/ ٣٩٦)

اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكّله إلى أمته بعده قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني. قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما. قال: والذي نقوله أن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصلاة، ولا في الدرس، ولا في التلقين والتعليم، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته.(١) اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقرآن فى زمانه لم يكتب، ولا كان ترتيب السور على هذا الوجه أمراً واجباً مأموراً به من عندالله بل الأمر مفوض فى ذلك إلى إختيار المسلمين ولهذا كان لجماعة من الصحابة لكل منهم إصطلاح فى ترتيب سوره غير إصطلاح الآخر. اهـ

* **القول الثاني**: ذهب جماعة إلى أن الترتيب للسور بتوقيف من النبي ﷺ منهم القاضي أبو بكر في أحد قوليه، وأبو جعفر النحاس،والبيهقي، وخلائق.

قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ وروى ذلك عن على بن أبى طالب.اهـ

وقال البيهقي: كان القرآن على عهد النبي مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة .اهـ

* **القول الثالث التفصيل في ذلك**: وهوأن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها فى

(١) "شرح النووي على مسلم"(٦/ ٦٢)

حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده، وذهب إلى هذا القول القاضي أبو محمد بن عطية، ورجحه الزرقاني.

والراجح من هذه الأقوال هو قول الجمهور والله أعلم.[١]

مسألة: ترتيب القرآن في القراءة:

* أما ترتيب الآيات في القراءة فأمر واجب، ولا يجوز تنكيس الآيات.

ولهذا قال ابن كثير: ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته فإن نكسه أخطأ كثيراً.[٢]

ونقل النووي الإجماع على منعه كما نقله السيوطي بقوله: قال النووي: وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه؛ لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ويزيل حكمة الترتيب[٣].

*** وأما ترتيب السور عند القراءة فمستحب .**

قال ابن كثير: وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضى الله عنه، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً كما قرأ عليه السلام فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، وتارة

---

(١) "البرهان"(١/ ٢٥٧) "الإتقان"(١/ ١٧٠) "فضائل القرآن" لابن كثير(٨٣) "مناهل العرفان" (١/ ٢٤٤-٢٤٥) "مجموع الفتاوى"(٢٢/ ٣٥٣) "أصول التفسير" للعثيمين (١٧)

(٢) "فضائل القرآن"(٣٩)

(٣) "الإتقان" (١/ ٢٩٠)

بسبح و هل أتاك حديث الغاشية، فإن فرق جاز كما صح أن رسول الله قرأ في العيد بقاف و اقتربت الساعة .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ألم السجدة و هل أتى على الإنسان، وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران أخرجه مسلم، وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف. (١)

وقال النووي رحمه الله: قال العلماء الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها حتى قال بعض أصحابنا إذا قرأ في الركعة الأولى سورة قل أعوذ برب الناس يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة.

قال بعض أصحابنا: ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة وفي الثانية هل أتى على الإنسان،وصلاة العيد في الأولى ق، وفي الثانية اقتربت الساعة، وركعتي الفجر في الأولى قل يأيها الكفرون، وفي الثانية قل هو الله أحد، وركعات الوتر في الأولى سبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يأيها الكفرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد، والمعوذتين.

---

(١) "فضائل القرآن" لابن كثير مرجع سابق

ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها جاز فقد جاءت بذلك آثار كثيرة.

وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف وفي الثانية بيوسف.

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متأكداً؛ لأنه يذهب بعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات.

وقد روى ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل وعن الإمام مالك بن أنس أنهما كرها ذلك وأن مالكاً كان يعيبه ويقول هذا عظيم.

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن وليس هذا من الباب فإن ذلك قراءة متفاضلة في أيام متعددة على ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم.[1] اهـ بتصرف يسير

(١) "التبيان في آداب حملة القرآن"(٣٧).

قال ابن بطال: لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور في القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف مثلاً، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها، وكان جماعة يصنعون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلا للسانه في سردها فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام فيه.[1] اهـ

(١) "فتح الباري" (٩/ ٤٠)

الفصل السابع

إعجاز القرآن

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن

مصطلح "إعجاز القرآن" -كما يبدو من صياغته-مركب إضافي من(إعجاز) و(القرآن) ولمعرفة المراد بهذا المركب يلزم تحديد معنى طرفه الأول وهو كلمة "الإعجاز" ثم معرفة المراد بالمصطلح كله عند إضافة هذه الكلمة إلى (القرآن)

أولاً: تعريفه لغة:

إعجاز مصدر أعجز، ومادة الكلمة هي العجز.

قال الفيروز آبادي: العجز مثلثة وكَندُسٍ وكَتِفٍ مُؤَخَّر الشيء جمع أعجاز، وأعجزَه الشيءُ فاته، وأعجز فلانا وجده عاجزا وصيره عاجزا، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العَجزِ.

ومعجزة النبي ﷺ ما أَعْجَزَ به الخصمَ عند التحدي، والهاءُ للمبالغة وعاجزٌ فلانٌ ذهب فلم يُوْصَلْ إليه، وفلانًا سابَقَهَ فعَجزَه فسبقه، وإلى ثِقَةٍ مال إليه .وتَعَجَّزْتُ البعيرَ ركبتُ عَجُزَه.

وقوله تعالى: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي: يعاجزون الأنبياءَ وأولياءهم، يقاتلونهم ويمانعونهم ليعيدوهم إلى العجز عن أمر الله تعالى، أو معاندين مسابقين أو ظانين أنهم يعجزوننا.[1]

وقال ابن منظور: (العجز: نقيض الحزم؟ والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم

---

(١) "القاموس المحيط" مادة عجز

وكسرها: مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث- « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس »- وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)[١].

فالخلاصة: أن كلام أهل اللغة في معنى الإعجاز يدور حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله، وكذلك جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له.

تعريفه اصطلاحاً:

إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن، ومنهما يكون مصطلح: (إعجاز القرآن) كما سبق بيانه يكون المراد: «**إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله**»، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي.

---

(١) "لسان العرب" مادة عجز

المبحث الثاني: ثبوت الإعجاز

لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر واحد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**﴾[التوبة: ٦] فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة.

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[العنكبوت:٥٠- ٥١] فأخبر أن الكتاب آية من آياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره، وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به النبي إليهم وكانوا أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء، وتحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[الطور: ٣٤]، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[هود:١٣- ١٤]ثم تحداهم بسورة في قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨] ثم كرر في قوله: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة: ٢٣] فلما عجزوا

عن معارضته، والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[الإسراء: ٨٨] هذا وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الإستهزاء أخرى فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر، وتارة قالوا: أساطير الأولين كل ذلك من التحير والإنقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراويهم، وحرمهم، وإستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه؛ لأنه كان أهون عليهم.[1] اهـ

(١) "الإتقان"(٢/ ٣١١-٣١٢)البرهان(٢/ ٩١) بتصرف يسير

المبحث الثالث: ثمرة الإعجاز:

إن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به قومه من الرسالة، ودعاهم إليه من الإسلام، وعليه فإن حقيقة الإعجاز وهي إثبات العجز لمن وقع عليه التحدي استلزمت إظهار هذا العجز، وهذا الإظهار بدوره استلزم إظهار صدق رسول الله ﷺ وهو المقصود الأول من الإعجاز.

كذلك معجزة القرآن دالة بخلودها على خلود هذا الدين، وبقائه ما بقيت الدنيا.

كذلك معجزة القرآن دالة على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[هود:١٣- ١٤].

قال الزركشي: فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ودليلاً على وحدانيته، وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تعلم بالقرآن الوحدانية،وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل؛ لأن القرآن كلام الله عز وجل ولا يصح أن يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولاً.[1] اهـ

(١) "البرهان"(١/ ١٧)

المبحث الرابع: شروط الإعجاز:

قال الدكتور محمد الحبش في نظمه المعتمد ذاكراً لشروط الإعجاز:

والشرطُ في الإعجازِ ما سأبدي ... أولّهُا أنْ يوجَدَ التَحدِّي

والثانِ أنْ تُهَيأ الدوافِعُ ... ثالثُها أنْ تنتفي الموانِعُ

الأول: وجود التحدي أي بأن يدعىٰ المعارضون إلىٰ الإتيان بمثله

الثاني: أن تهيأ الدوافع لدىٰ المعارضين لقبول المنازلة

الثالث: أن تنتقي الموانع التي تحول دون قيامهم بالتحدي

وهذه الشرائط الثلاثة توفرت في الإعجاز القرآني فقد تحداهم أن يأتوا بمثله فلا مسوغ لقولهم: ﴿**لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا**﴾ ووجد الدافع لدىٰ الخصوم للمعارضة لأنهم كانوا حريصين علىٰ تكذيبه وانتقىٰ المانع عنهم لأنه تحداهم بلغتهم وكلامهم.[1] اهـ

(١)"شرح المعتمد" للحبش(٣٦) وانظر "الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام" للقرطبي (٢٣٩).

المبحث الخامس : بيان وجوه الإعجاز:

حصل خلاف بين أهل العلم في بيان وجوه الإعجاز، أوصلها الماوردي إلى عشرين وجهاً، وبعضهم ذكر أكثر، وبعضهم أقل، ونذكر شيئاً منها على سبيل الإختصار:

❑ منهم من يرى أن وجه إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، ونظمه وأسلوبه.

قال ابن عطية: إن الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه، والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين.[1] اهـ

❑ **ومنهم من يرى أن إعجازه في إخباره بالغيب ويتضمن ثلاثة أقسام:**

الأول: غيب الماضي.

والمراد به الإخبار عن القرون السابقة والأمم البائدة حكاية من شاهدها وحضرها

---

(١) "البرهان"(٢/ ٩٧)

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود: ٤٩]

والآيات في هذا كثيرة، وسوف نورد بعض المواضع التي ورد الحديث عنها في القرآن واشتملت على الإخبار عن الماضي من ذلك:

* الحديث عن بدء الخلق: (خلق السموات والأرض، وخلق آدم عليه السلام).

* قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا أوسعها.

* قصص الأولياء والصالحين، كالخضر، وذي القرنين ولقمان.

* الحديث عن الأمم الماضية وكيفية هلاكها، وأسباب ذلك(كقوم عاد، وثمود، وقوم نوح، وقوم لوط).

* ذكر الطغاة والمنحرفين ونهايتهم(كفرعون وقارون).

الثاني: غيب الحاضر:

ويراد به ما جرى في عصر الرسول من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمناً لها ومخبراً لها بحقيقة ما جرى، ويظهر هذا جلياً في كشف حال المنافقين، واليهود في عهد النبي ﷺ وما قاموا به من الكيد والدسائس والمؤامرات على الرسول ﷺ وأصحابه.

الثالث: غيب المستقبل:

ويراد به ما تحدث عنه القرآن مما سيقع في المستقبل ولم يكن قد وقع أثناء نزول القرآن، وهذا النوع هو أقوى أنواع الأعجاز الغيبي في الدلالة على إعجاز القرآن؛ ذلك

لأنه لا سبيل إلى معرفته مطلقاً، ولا يمكن علمه إلا بوحي من الله تعالى.

من ذلك:

* ما أخبر الله تعالى من انتصار الروم على الفرس في قوله تعالى: ﴿**الم *غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [الروم:١- ٤].

* إخبار الله تعالى عن عجز المشركين عن معارضة القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:٢٣- ٢٤].

فقد بين الله تعالى أنهم لن يفعلوا ذلك، ولن يستطيعوا معارضة القرآن إلى يوم القيامة، فلا يزال التحدي قائماً، والعجز ثابت؛ لأنه من عند الله عزوجل.

* الإخبار عن مصير بعض المكذبين، وأنهم سوف يموتون على الكفر من ذلك ما نزل في أبي لهب وامرأته في قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾[المسد: ٥].

إلى غير ذلك من الأمور المستقبلة التي أخبر عنها القرآن.

❑ ومنهم من يرى أن إعجاز القرآن في هديه وتشريعه.

فقد جاء القرآن الكريم بشرائع الهدى لإصلاح الخلق، وإقامتهم على طريق الحق

والفلاح، فلم تسمُ شريعة من الشرائع أن تبلغ ما في شريعة القرآن من: إحكام، ويسر، ودقة، ذلك أنها شريعة الله تعالى التي تنطلق في تكاليفها من رحمته سبحانه بعباده، ومراعاة مصالحهم وقدراتهم البشرية، قال الله تعالى ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال سبحانه: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال عز وجل: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦].

والصواب أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى.

فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه، وبيانه ونظمه، ومعجز بعلومه ومعارفه، ومعجز في تشريعه، ومعجز في إخباره عن الغيب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.(١)

وقال الخطابي: «فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعا إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته، في تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيئ منها موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه مودعاً أخبار القرون الماضية، ومانزل من مثُلات الله بمن

(١) "الجواب الصحيح"(٥/ ٤٢٩).

عصى وعاند منهم منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية من الزمان- جامعاً ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه...

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته لمثله»[(١)].

القول بالصرفة:

❑ ذهب البعض إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة.

ويراد بها: أن العرب كانوا قادرين على معارضة القرآن، والإتيان بمثله، إلا أن الله صرفهم عن ذلك، وسلبهم القدرة عليه، فكان معجزاً.

وقد نقل هذا القول ابتداءً عن واصل بن عطاء شيخ المعتزلة، ثم تبناه بعد ذلك النظام أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وكان النظام قد خالط قوماً من ملاحدة الفلاسفة فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي من معجزات النبي ﷺ، إلى غير ذلك من الأفكار التي قال بها النظام .

---

(١) "بيان إعجاز القرآن" للخطابي طبع ضمن ثلاث رسائل، وينظر في بيان وجوه الإعجاز:"أعلام النبوة" للماوردي (٧١)، "فتح الباري"(٩/ ٧)، "الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام" للقرطبي (١/ ٣٢٦) "الإعتقاد" للبيهقي(١/ ٢٥٩)، "تمهيد الأوائل"(١/ ٨٥)"روح المعاني" للألوسي (١/ ٢٧) "التحرير والتنوير" لابن عاشور(١/ ٥٦-٥٧)

وممن نسب إليه القول بالصرفة: الشريف المرتضى من الشيعة.

وهذا قول باطل لا يدل عليه نقل ولا عقل، وهو مستلزم للقول بعدم الإعجاز في الحقيقة بل يكون المعجز والحالة هذه هو الله تعالى لا القرآن نفسه، وقد ذكروا أن القرآن ليس معجزاً في ذاته لأحد الأسباب الآتية:

الأول: أن بواعث المعارضة لم توجد لدى العرب، ولو وجدت الأسباب الداعية إلى المعارضة لعارضوه.

الثاني: أن بواعث المعارضة وأسبابها قد وجدت، لكنهم لم يتحفزوا لمعارضة القرآن، فكأن الأسباب غير موجودة،ولو أرادوا معارضة القرآن لقدروا على ذلك.

الثالث: أن أسباب المعارضة ودواعيها قد وجدت، وتحفز العرب لمعارضة القرآن، لكنهم لم يقدروا على ذلك؛لأن الله سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن.

وكل هذه الأسباب باطلة والرد عليها بما يلي:

أولاً: أما قولهم: بأن البواعث والأسباب لم توجد، فيرد عليهم بأن الله قد تحدى المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وجاء ذلك صريحاً في آيات من القرآن كما ذكرناها سابقاً منه قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[يونس: ٣٨]

فهل يقال بعد ذلك أن بواعث المعارضة لم توجد، وقد تحداهم القرآن وحفز هممهم إلى التحدي.

ثانيًا: قولهم: أن بواعث المعارضة وأسبابها قد وجدت، لكنهم لم يتحفزوا لمعارضة القرآن،ولو أرادوا معارضة القرآن لقدروا على ذلك.

فيرد عليهم: بأن المشركين لم يدخروا وسعاً في سبيل القضاء على القرآن، والطعن فيه، وكانوا بأمس الحاجة إلى ذلك، فقد اتهم المشركون النبي بالسحر، والكذب والكهانة، وزعموا بأن القرآن أساطير الأولين،وقد لجأوا إلى الصد عنه، والحيلولة بين الناس وسماع القرآن، فكيف يقال بعد ذلك: إنه كان بإمكانهم معارضة القرآن، ولكنهم لم يشاؤا ذلك.

ثالثا: أما قولهم: أن أسباب المعارضة ودواعيها قد وجدت، وتحفز العرب لمعارضة القرآن، لكنهم لم يقدروا على ذلك؛لأن الله سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن، فيرد عليه بما يلي:

أحدها: أن علوم العرب وعقولهم ومعارفهم لم تتغير بعد التحدي عما كانت، ولو كان هذا الزعم صحيحاً لتغيرت علومهم، ومعارفهم بعد التحدي، ولوجدوا قصوراً في ذلك،بل اعترف أرباب الفصاحة منهم أن هذا ليس من قول البشر، فالإعجاز في ذات القرآن، وليس في منعهم من معارضته أوسلبهم أدوات المعارضة.

ثانياً: أنه بالنظر إلى البليغ من كلام العرب السابقين مما سارت به الركبان، وتناقله الناس، وبالمقارنة بينه وبين القرآن نجد أنه لا يرقى إلى مستوى القرآن، ولا يقرب منه.

ثالثاً: أن التحدي لم يكن خاصاً بقوم معينين؛ فإذا زعم من تبنى هذا القول أن الله سلب العرب في عصر النبي ﷺ مواهبهم، فلماذا لم يعارض القرآن غيرهم، وقد وجد

كثير من الأذكياء المهرة في اللغة العربية على مر العصور.[١]

فالخلاصة: أن القول بالصرفة قول باطل لما ذُكِرَ وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: «القرآن معجز بنفسه، فمن قال:القرآن مقدور على مثله، ولكن منع الله قدرتهم كفر، بل هو معجز بنفسه، والعجز شمل الخلق»[٢].

(١) ينظر في الكلام على الصرفة والرد عليها "الجواب الصحيح"(٤/ ٧٥)"إعجاز القرآن" للباقلاني (٥٢-٥٦)"الإعتقاد"للبيهقي(١/ ٢٦٦)"تفسيرالقرطبي"(١/ ١٠٥)"الفصل في الملل والنحل" (٣/ ١٠) (٤/ ١٥٦) "بدائع الفوائد" لابن القيم(٤/ ٩٤٦) "البرهان"(٢/ ٩٣) "الإتقان" (٢/ ٣١٤) "مناهل العرفان"(٢/ ٣٠٢)

(٢) "شرح الكوكب المنير"(٢/ ١١٥)

المبحث السادس :القدر المعجز من القرآن

حصل خلاف بين العلماء في أقل قدر يكون به الإعجاز على أقوال:

* فمنهم من يرى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، أو بكل سورة برأسها وهذا قول المعتزلة.

* وذهب بعضهم إلى أن الإعجاز يقع بكل سورة من القرآن طويلة كانت أو قصيرة.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ وقوله في سورة يونس: ﴿**بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ [يونس: ٣٨] يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها، وهذا ما أعلم فيه نزاعًا بين الناس سلفًا وخلفًا.[(١)] اهـ

وقال الزرقاني بعد أن ذكر الآية السابقة: بهذا يتبين لك أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه وأن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لا بعضه وهم المعتزلة والقائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه قرآن ولو كان أقل من سورة كل أولئك بمنأى عن الصواب وهم محجوجون بما بين يديك من الآيات.[(٢)] اهـ

---

(١) "تفسير ابن كثير" (١/ ٢٠٣).

(٢) "مناهل العرفان"(٢/ ٢٤٠)

وقال الماوردي في أثناء كلامه على الإعجاز: و أقل ما يقع به التحدي كأقصر سورة في القرآن آيات و حروفاً و هي (سورة الكوثر) و ما قصر عنه لا إعجاز فيه.(١)

* ومنهم من يرىٰ أن الإعجاز في القليل والكثير منه دون تقييد بسورة لقوله تعالىٰ: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[الطور: ٣٤] وذهب إلىٰ هذا ابن حزم حيث قال: وذهب سائر أهل الإسلام إلىٰ أن القرآن كله قليله وكثيره معجز، وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا حجة لهم في قوله تعالىٰ: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾؛ لأنه تعالىٰ لم يقل أن ما دون السورة ليس معجزاً، بل قد قال تعالىٰ: ﴿**على أن يأتوا بمثل هذا القرآن**﴾ ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز.(٢)

وهو الذي يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال أثناء رده علىٰ ابن عقيل في قوله: إن السورة القصيرة لا إعجاز فيها، قال شيخ الإسلام: ما ذكره من أن السورة القصيرة لا إعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء ويقولون:بل السورة معجزة، بل ونازعه بعض الأصحاب في الآية والآيتين، فذكر عن بعض أصحاب الإمام أحمد أن الآية والآيتين معجزة، وقالوا: بأن الكل محترم، فاعتبروا كل ما يطلق عليه قرآن معجزة.(٣)

---

(١) "أعلام النبوة" للماوردي(٧٦).

(٢) "الفصل في الملل والنحل"(٣/ ١٢-١٣).

(٣) "مجموع الفتاوى"(٢٠/ ٤٨١-٤٨٢) بتصرف يسير.

وقال في موضع آخر: فإن القرآن له شأن اختص به لا يشبهه كلام البشر لا كلام نبىٍ و لا غيره و إن كان نزل بلغة العرب فلا يقدر مخلوق أن يأتىٍ بسورة، و لا ببعض سورة مثله.[١]

(١) "مجموع الفتاوى"(١٦/ ٥٣٦)

المبحث السابع: ما يتعلق به الإعجاز.

حصل خلاف فيما يتعلق به الإعجاز.

❑ فمنهم من يرى أن الإعجاز حصل بكلام الله القديم الذي هو صفة الذات الذي لم يفارق الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل إلينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط، وأما الذي يقرأ في المصاحف ونسمعه فليس معجزاً بل مقدور على مثله، وإن العرب كلفت في ذلك مالا تطيق وفيه وقع عجزها، ونسب هذا القول إلى أبي الحسن الأشعري في أحد قوليه.

قال ابن حزم: وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع أهل الإسلام.[(١)]

وقال السيوطي: وهو مردود؛ لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به.[(٢)]

❑ ومنهم من ذهب إلى أن الإعجاز حصل بالحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله، وقد صرح بهذا الباقلاني، والزركشي، والسيوطي.

قال الباقلاني: وإن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه، ودلالات

---

(١) "الفصل في الملل والنحل"(٤/ ١٥٦).

(٢) "الإتقان"(٢/ ٣١٤)

عليه وأمارات له.[١]

وقال الزركشي: والجمهور على أنه إنه إنما وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ.[٢]

وهذا القول باطل و مردود؛لأنه مبني على إثبات الكلام النفساني لله تعالى، وأن لفظ القرآن عبارة عن كلام الله،أو حكاية وليس كلام الله حقيقة، وهذا قول الأشاعرة.

❑ **والصواب أن يقال:**

إن الإعجاز حصل بالقرآن وهو كلام الله تعالى حقيقة لفظه ومعناه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة أن كلامه عز وجل المتلو باللسان، المحفوظ في الجنان والمكتوب بالبنان هو كلامه حقيقةً ليس مدلولاً عليه، وقد سبق أن نقلنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على قول الأشاعرة في مسألة كيفية تلقى جبريل الوحي من الله عزوجل.

---

(١) "إعجاز القرآن" للباقلاني(٢٦٠)، و"تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل" للباقلاني(١٧٨-١٧٩)

(٢) "البرهان"(٢/ ٩٣).

الفصل الثامن
التفسير

المبحث الأول: تعريف التفسير

أولاً: تعريفه لغة: هو مشتق من الفسر.

قال ابن منظور: الفَسْرُ البيان فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه، وقوله عز وجل: ﴿**وأَحْسَنَ تَفْسيراً**﴾ الفَسْرُ كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل والتأْويل ردّ أَحد المحتملين إِلى ما يطابق الظاهر واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي.[١]

وقال الراغب: والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها، قال: ﴿**وأحسن تفسيرا**﴾[٢].

اصطلاحاً:

قال الزركشي: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: هو بيان معاني القرآن[٤].

---

(١) "لسان العرب" مادة «فسر»(٥/ ٥٥)

(٢) "مفردات الراغب" ص(٣٨٠)

(٣) "البرهان"(١/ ١٣).

(٤) "أصول التفسير"(١٩٤)

المبحث الثاني: حكم تفسير القرآن:

أما العلماء فواجب عليهم أن يفسروا ألفاظ القرآن ويبينوا معانيه.

قال ابن كثير رحمه الله: فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]،وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٧٧] فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[الحديد: ١٦] ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم.[(١)] اهـ

---

(١) "مقدمة تفسير ابن كثير"(١/ ٤)

وقال الشيخ ابن عثيمين: ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المشافهة لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران: الآية ١٨٧] وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه، فيكون تفسير القرآن، مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه[(١)].

(١) " أصول التفسير"(١٩٧).

المبحث الثالث: حكم تعلم تفسير القرآن:

قال الشيخ ابن عثيمين: وتعلم التفسير واجب لقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[ص:٢٩] ولقوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٤]

وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها .

والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك، فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها .

ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه .

ووجه الدلالة من الآية الثانية: أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها .

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن .

ثم قال في "شرحه لأصول التفسير": وتعلم التفسير واجب، يأثم الإنسان بتركه، لكن هل هو واجب عيني أو واجب كفائي؟

نقول: أما ما لا يسوغ جهله فهو واجب عيني، يجب على كل إنسان أن يعرف ما

أمر به في القرآن الكريم، مثلاً: ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾ يجب أن يعرف كيف إقامة الصلاة، ﴿**وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ يجب أن يعرف كيف يزكي إذا كان عنده مال ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ يجب عليه أن يعرف كيف يحج إذا كان مستطيعاً، وهلم جراً، وما زاد عن ذلك فإنه فرض كفاية، ولا يمكن للمسلمين أن يدعوا كتاب ربهم بدون فهم لمعانيه، إذن فهو واجب يشمل الواجب العيني، والواجب الكفائي لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[ص: ٢٩].

المبحث الرابع طرق تفسير القرآن:

لتفسير القرآن الكريم طرق وهي كما يلي:

الطريقة الأولى: أن يفسر القرآن بالقرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.[(١)] اهـ

مسألة: كيف يفسر القرآن بالقرآن؟

الجواب: قال الذهبي: لهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً،فيجمع ما تكرر منه في موضع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ماجاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله.[(٢)] اهـ

مسألة: لماذا يفسر القرآن بالقرآن؟

الجواب: يفسر القرآن بالقرآن لأمور:

الأول:لأن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فليس فيه اضطراب ولا تناقض ولا

---

(١) "مقدمة في التفسير "(٩٣)

(٢) "التفسير والمفسرون" للذهبي(١/ ٤٢).

اختلاف؛ إذ هو من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء:٨٢].

الثاني: لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف له من غيره.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا وجدنا تفسيراً للقرآن بالقرآن فإننا لا نعدل به شيئاً،لماذا؟ لأن الله هو الذي فسره وهو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد.[1] اهـ

أوجه تفسير القرآن بالقرآن:

١ – الآية المخصصة لآية عامة:

ورد لفظ الظلم عاماً في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢]. وقد خصّه الرسول ﷺ بالشرك، واستدل له بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا**﴾ [الإسراء: ٢٤].عموم يشمل كل أبٍ: مسلم وكافر، وهو مخصوص بقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى**﴾ [التوبة: ١١٣].فخرج بهذا الاستغفار للأبوين الكافرين، وظهر أن المراد بها الأبوان المؤمنان.

٢ – الآية المبيّنة لآية مجملة:

أجمل الله القدر الذي ينبغي إنْفَاقُهُ في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة:

---

(١) "شرح أصول التفسير"(٢٠٢).

٣]، وبين في مواضع أخر: أن القدر الـذي ينبغي إنفاقـه هـو الزائد عن الحاجة وسدّ حاجة الخَلّة التي لابد منها، وذلك كقوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ**﴾ [البقرة: ٢١٩] والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لابدّ منها، على أصحّ التفسيرات، وهو مذهب الجمهور....

وفي قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾ [المائدة: ١]، إجمال في المتلو، وقد بيّنه قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهَّ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٣].

٣- الآية المقيدة لآية مطلقة:

أطلق الله استغفار الملائكة لمن في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُون لِمَن فِي الأَرْضِ**﴾ [الشورى: ٥]، وقد قيّد هذا الإطلاق بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[غافر: ٧].

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ [آل عمران: ٩٠]، إطلاق في عدم قبول التوبة، وهو مقيّد في قول بعض العلماء بأنه إذا أخّروا التوبة إلى حضور الموت، ودليل التقييد قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ [النساء: ١٤].

٤- تفسير لفظة غريبة في آية بلفظة أشهر منها في آية أخرى:

ورد لفظ (سِجّيل) في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ**﴾ [هود: ٨٢]، والممطر عليهم هم قوم لوط (عليه الصلاة والسلام)، وقد وردت القصة في الذاريات وبان أن المراد بالسجيل: الطين، في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ *لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ**﴾ [الذاريات: ٣٢، ٣٣].

٥- تفسير معنى آية بآية أخرى:

التسوية في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ**﴾ [النساء: ٤٢]، يراد بها: أن يكونوا كالتراب، والمعنى: يودّون لو جُعِلوا والأرض سواءً، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً**﴾ [النبأ: ٤٠].(١)

الطريقة الثانية: تفسير القرآن بالسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن أعياك ذلك [أي تفسير القرآن بالقرآن] فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾[النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا**

(١) انظر "مصادر التفسير تفسير القرآن بالقرآن" للدكتور:مساعد الطيار بحث منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.

﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل: ٦٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ:« **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**» يعني: السنة، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن لأنها تتلى كما يتلى.(١) اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله: والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له .

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه ولا تخرج عن هذه الأقسام فلا تعارض القرآن بوجه ما فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى وسقطت طاعته المختصة به، وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠] .(٢) اهـ

---

(١) "مقدمة التفسير"مع شرحها لابن عثيمين(٩١)

(٢) "إعلام الموقعين"(٢/ ٣٠٧).

مسألة: لماذا يفسر القرآن بالسنة؟

الجواب: يفسر القرآن بالسنة لأمور وهي:

الأول: لأن الرسول ﷺ أمر بالبلاغ كما قال تعالى: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ**﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[المائدة: ٦٧]،فالرسول مبلغ عن الله تعالى، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه، وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[النحل: ٤٤]، والإبانة تشمل الإبانة اللفظية، والإبانة المعنوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب أن تعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشرات آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

ومن المعلوم أن كل كلام المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك.[1] اهـ

الثاني: لأن الله تعالى بين أن النبي ﷺ من وظيفته النبوية ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

(١) "مقدمة في التفسير"(٤٥)

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].والمراد بالحكمة هي السنة كما ذكر ذلك الإمام الشافعي بقوله:فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ.[١] اهـ

مسألة: وجوه تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم:

يرد التفسير من النبي ﷺ للقرآن على وجوه متعددة وهي:

الوجه الأول: بيان القرآن بالقول. وله صور متعددة وهي:

الصورة الأولى: أن يفسر القرآن بالقرآن.

مثال ذلك: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :لما نزلت: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ . قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ بشرك أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٢] .

الصورة الثانية: بيان المجمل:بأن ينص على تفسير آية أو لفظة.

مثال ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول :قال النبي ﷺ: «**ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف . واقرؤوا إن شئتم، يعني قوله: ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾**»[٣] .

---

(١) "الرسالة" ص(٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٣١٨١)ومسلم برقم(١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٤٥٣٩)ومسلم برقم(٢٣٩٤)

الصورة الثالثة: توضيح المشكل.

بأن يشكل على الصحابة فهم آية فيوضحها لهم.

مثال ذلك: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ قال: فكان الرجل إذا أراد الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأسود والخيط الأبيض فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رئيهما؛ فأنزل الله بعد ذلك: ﴿**مِنَ الْفَجْرِ**﴾ فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار»[(١)].

الصورة الرابعة: أن يتأول القرآن فيعمل به.

مثال ذلك: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:« **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[(٢)].

الصورة الخامسة: يذكر ما يصدق كلامه من القرآن الكريم.

مثال ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ « **قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٩١٧)ومسلم برقم(٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٨١٧)ومسلم برقم(١٠٨٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٣٢٤٤) ومسلم برقم(٧١٣٢).

الوجه الثاني: بيان أسباب نزول القرآن.

من ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ . قرأها ابن عباس[(١)] أي: ليس عليهم جناح أن يذهبوا للحج ويتاجروا فيه، فبين سبب النزول معنىٰ الآية.

الوجه الثالث: بيان القرآن بالفعل.

فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**»[(٢)]، ويقول جابر بن عبد الله في حديثه الطويل في سياق حجة النبي ﷺ: «**ورسول الله بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به**»[(٣)]، فكانت حياة النبي ﷺ من الأقوال والأفعال تفسيراً للقرآن الكريم.

الطريقة الثالثة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة فإنهم أدرىٰ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصموا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٩٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم(٢٤٦٤٥) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم(٨٩٤٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم(١٢١٨).

مسألة: لماذا يفسر القرآن بأقوال الصحابة؟

والجواب على ذلك لما يلي:

أولاً: أن علماء الصحابة قد اهتموا بمعرفة ما يتعلق بالآية فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله (المطايا) لأتيته**».

ثانياً: التمكن في معرفة اللسان العربي، فمعرفة الصحابة بدلالات الخطاب العربي معرفة فطرية لم تشبها شوائب العجمة كما قال الإمام الشاطبي: فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.[1] اهـ

ثالثاً: مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات أو تخصيص بعض العمومات فالعمل عليه صواب وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية... إلى أن قال: فلا بد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم، فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما

---

(١) "الموافقات"(٣/ ٣٣٨)

هو موضوع موضع التفسير بحيث لو فرضنا عدمه لم يمكن تنزيل النص عليه على وجهه انحتم الحكم بإعمال ذلك البيان لما ذكر ولما جاء في السنة من اتباعهم والجريان على سننهم كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»، وغير ذلك من الأحاديث فإنها عاضدة لهذا المعنى في الجملة.[١] اهـ

رابعاً: أن الصحابة أصدق الناس بعد الأنبياء في طلب الحق، وأسلمهم من الأهواء فإنه بعد الصحابة انتشرت الأمة وافترقت وكثرت الأهواء، أما في عهد الصحابة فهذا قليل إن لم نقل معدوم،وهم أطهر الأمة من المخالفات التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب.[٢] اهـ

مسألة: طرق ومصادر التفسير عند الصحابة:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن.

من ذلك ما روى البخاري عن العوام قال :سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال أو ما تقرأ: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ**﴾، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ . فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ»[٣] . والشاهد هو تفسير ابن عباس

---

(١) "الموافقات"(٣/ ٣٣٨)

(٢) "شرح أصول التفسير" للعثيمين(٢٠٤) وانظر "أصول التفسير وقواعده" للعك(١١٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٤٥٢٩).

آية سورة ص بآية الأنعام.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة.

من ذلك ما روى البخاري عن ابن عباس قال: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ**﴾ حالاً بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ»[(١)].

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً حيثما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة ثم قرأ ابن عمر هذه الآية ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ وقال ابن عمر: في هذا أنزلت الآية»[(٢)].

ثالثاً: تفسير القرآن باللغة.

من ذلك ما أخرجه البخاري ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر ﴿**كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**﴾حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال»[(٣)].

رابعاً: تفسير القرآن بالاجتهاد.

بأن يجتهد الصحابي رأيه في تفسير الآية من ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس

---

(١) أخرجه البخاري(٤٦٥٦)

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٢٩٥٨) وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري برقم(٤٦٤٩).

أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ . قالوا: فتح المدائن والقصور. قال ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مثل ضرب لمحمدﷺ نعيت له نفسه»[١].

الطريقة الرابعة: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.[٢] اهـ

مسألة: لماذا يفسر القرآن بأقوال التابعين؟

والجواب على ذلك: يفسر القرآن بأقوال التابعين لما يلي:

أولاً: لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة كما ورد ذلك في قول النبي ﷺ:«**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم يلونهم**».

ثانياً: لأنهم أسلم من الأهواء ممن بعدهم.

ثالثاً: لم تكن اللغة العربية تغيرت كثيراً في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٦٥٨).

(٢) "مقدمة في التفسير" (١٠٠).

فهم القرآن ممن بعدهم.[١]

طرق ومصادر التفسير عند التابعين:

قد اعتمد التابعون في تفسيرهم للقرآن الكريم على ما يلي:

أولاً: ماجاء في القرآن نفسه.

ثانياً: ما رووه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ثالثاً: ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم.

رابعاً: ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم.

خامساً: الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

مسألة: هل قول التابعي حجة في التفسير؟

اختلف العلماء في الأخذ بقول التابعي، وكونه حجة يجب الأخذ بها على أقوال:

الأول: أنه يجب الأخذ بقول التابعي؛لأن أقوال التابعين مأخوذة عن الصحابة فالقول فيها كالقول في قول الصحابي، وأصحاب هذا القول هم الذين يرون الأخذ بقول الصحابي،من هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهذا إنما هو في حال إجماعهم على قول أما إذا اختلفوا فلا يكون حجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم

(١) "أصول التفسير" للعثيمين (٢٠٧)

ممن خالفهم وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.[١] اهـ

الثاني: وذهب آخرون إلى أنه لا يجب الأخذ بقول التابعي؛ وذلك لأنه تفسير بالرأي والاجتهاد.

ومع ذلك فإن لقول التابعي مكانته في التفسير، وينبغي تقديمه على غيره من الأقوال، وإنما الخلاف في وجوب الأخذ به من عدمه ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

(١) "مقدمة في التفسير"(١٠٠)

الطريقة الخامسة: تفسير القرآن باللغة العربية

واللغة العربية مصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وتفسيره بمقتضى اللغة العربية؛وذلك لأن القرآن نزل باللغة العربية،فإذا لم يكن هناك عرف شرعي يخالف مقتضى اللغة أخذنا باللغة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾ [النساء: ١٠٥]، وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزخرف: ٣]. (١) اهـ

وقال ابن عاشور: إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان . ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين. (٢) اهـ

مسألة: لماذا يفسر القرآن باللغة العربية؟

---

(١) "شرح أصول التفسير" للعثيمين ص(٢١١).

(٢) "التحرير والتنوير" (١/ ٧).

والجواب على ذلك: يفسر القرآن باللغة العربية لما يلي:

أولاً: لأن القرآن نزل بلسان عربي كما قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾[الأحقاف: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[الزمر: ٢٨].

قال الشاطبي رحمه الله: من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة....إلى أن قال: إن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام، أو وسطه، أو آخره، وتتكلم بالكلام ينبىء أوله عن آخره أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمى الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة بإسم واحد، وكل هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي ولا من تعلق بعلم كلامها.[(١)] اهـ

ثانياً: لأن علم اللغة به يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع ولا يكفي اليسير؛ إذ قد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر، فمن لم يكن عالماً بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد، وينكل كما قاله مالك،

---

(١) "الموافقات" للشاطبي(٢/ ٦٤-٦٥)

وهذا مما لا شبهة فيه.[١] اهـ

(١) "روح المعاني" (١/ ٥)

المبحث الخامس الاختلاف الوارد في التفسير

❑ **أنواع الاختلاف في التفسير:**

الاختلاف في التفسير على ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف تنوع: وهو أن يرد في الآية قولان أو أقوال ويمكن القول بها جميعاً أو الجمع بينها جميعاً ويكون ذلك لسبب من الأسباب التالية:

أولاً: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى..... كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند وذلك مثل أسماء الله الحسنى أسماء رسوله ﷺ وأسماء القرآن، وكتفسيرهم الصراط المستقيم بعضهم بالقرآن، وبعضهم بالإسلام، وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل بصفة من صفاتها.

ثانياً: أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

مثال ذلك: ما يذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر: ٣٢] فمن المفسرين من قال: بأن السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الإصفرار، ومنهم من قال: السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة

والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا.

ثالثاً: ما يكون اللفظ محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركاً في اللفظ(وهو ما اتحد لفظه وتعدد معناه).

مثال ذلك: لفظ (قسورة) في قوله تعالى: ﴿**فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾[المدثر: ٥١] فيراد بها الرامي، ويراد بها الأسد.

رابعاً: أو لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشيئين.

مثال ذلك: ﴿**والفجر**﴾ قال بعضهم: هو النهار، وقال آخرون: هو صلاة الفجر.

خامساً: أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، وقل أن يعبر عن لفظ واحد يؤدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن فإذا قال القائل ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً**﴾[الطور: ٩]: إن المور هو الحركة كان تقريباً إذ المور حركة خفيفة سريعة، ومثل قوله تعالى: ﴿**أَن تُبْسَلَ**﴾فقد فسرها بعضهم بقوله: تحبس، وبعضهم بقوله: ترتهن ونحو ذلك.[1]

سادساً: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [الأعراف:١٧٥]

---

(١) انظر مقدمة في التفسير(٤٨-٦٨)

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس أنه: رجل من أهل اليمن، وقيل: رجل من أهل البلقاء.

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها، لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل[(١)].

الثاني: اختلاف التضاد: وهو على قسمين:

الأول: خلاف التضاد المقبول:

وهو اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة:١٧٣] قال ابن عباس: غير باغ في الميتة ولا عاد من أكله، وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره والأرجح الأول لأنه لا دليل في الآية على الثاني، ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك .

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾[البقرة: الآية

(١) "أصول التفسير" للعثيمين(٢١٤)

٢٣٧] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج، وقال ابن عباس: هو الولي، والراجح الأول لدلالة المعنى عليه، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ.(١)

الثاني: خلاف التضاد الممنوع:

وهذا الذي سماه الزركشي التأويل المستكره، وعرفه بأنه ما يستبشع إذا عرض على الحجة. ويكون ذلك لسبب من الأسباب التالية:

الأول: أن يكون لفظاً عاماً فيختص ببعض ما يدخل تحته كقوله تعالى: ﴿**وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فحمله بعضهم على علي رضي الله عنه فقط

والثاني: أن يلفق بين اثنين كقول من زعم تكليف الحيوانات في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: ٢٤] مع قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾[الأنعام: ٣٨] أنهم مكلفون كما نحن

الثالث: ما أشعر باشتقاق بعيد كما قال بعض الباطنية في البقرة أنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم، وفي الهدهد أنه إنسان موصوف بجودة البحث والتنقيب.(٢)

الرابع: اعتقاد معاني محددة ثم حمل القرآن عليها كمن يعتقد جواز التوسل بالجن والشياطين ثم يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ**

(١) "أصول التفسير" للعثيمين(٢١٥).

(٢) "البرهان"(٢/ ١٧٩)

﴿الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة: ٣٥] وكذلك من يعتقد نفي الصفات ثم يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١].

الخامس: تفسير القرآن بحسب ما يدل عليه اللفظ بقطع النظر عن المتكلم به وهو الله، وعن المنزل عليه وهو الرسول ﷺ، وعن المخاطب به وهم المرسل إليهم، وذلك كمن فسر قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾[الإسراء: ٥٩] بأن المراد به أن الناقة كانت مبصرة والصحيح في تفسير مبصرة أي حجة باهرة ومعجزة ظاهرة بدليل السياق قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾[الإسراء: ٥٩].(١)

(١) "مقدمة في التفسير" مع شرحها لابن عثيمين .

المبحث السادس: أسباب الاختلاف بين المفسرين

الأول: احتمال النص لتفسيره على الوجوه المختلفة، واقتصار المفسر على بعضها، وقد تقدم التمثيل على ذلك.

الثاني: خفاء معنى النص يعني سمع الدليل ولكن خفي عليه الاستدلال بهذا الدليل.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾[النساء: ٣]فأهم ما ورد في معناها خمسة معانٍ.

* ألا تميلوا عن الحق وتجوروا.

* وعال الرجل يعيل إذا افتقر فصار عالة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**﴾ [التوبة: ٢٨].

* وعالني الشيء يعولني إذا غلبني وثقل علي، وعال الأمر اشتد وتفاقم، ومنه عيل صبري.

* عال قام بمئونة العيال، ومنه قوله عليه السلام:«وابدأ بمن تعول».

* **قال الشافعي**: ألا تكثر عيالكم، وسبقه زيد بن أسلم، وجابر بن زيد وهي لغة حمير ومنه:

وإن الموت يأخذ كل حي لا شك وإن أمشى وعالا.

يعني وإن كثرت ماشيته وعياله، وقدح البعض في تأويل عال من العيال لخفاء

المعنى الذي ذكره الشافعي، ومع التأمل نجد من العرب من يقول به.[١]

الثالث: الذهول عن النصوص الأخرى التي تبينه.

فقد روى عن عكرمة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٥] هو بلعام، وأوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه، قال الماوردي: وهذا غير صحيح؛لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من علم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته ففي هذا القول ذهول عن قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾[الحج: ٧٥].

الرابع: الغلط في فهم النص.أي: قد يفهمها على خلاف الوجه الذي ورد .

مثال ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسيره: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإن الله تعالى قال:﴿**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾[الكهف: ٨٤] وهذا الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب والحق مع معاوية في ذلك الإنكار فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب يعني فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض وتأويل كعب قول الله:

---

(١) "تفسير القرطبي"(٥/ ١٥)

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[الكهف: ٨٤] واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقي في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣] أنه مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا والله أعلم.[(١)] اهـ

الخامس: اعتقاد معارض راجح.

مثال ذلك: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[البقرة: ٢٣١] الإمساك بالمعروف هو القيام بما يجب لها من حق على زوجها ولذلك قال جماعة من العلماء: إن من الإمساك بالمعروف إن الزوج إذا لم يجد ما ينفق على الزوجة أن يطلقها فإن لم يفعل خرج عن حد المعروف فيطلق عليه الحاكم من أجل الضرر اللاحق لها من بقائها عند من لا يقدر على نفقتها والجوع لا صبر عليه وبهذا قال مالك و الشافعي و أحمد و إسحاق و أبو ثور و أبو عبيد و يحيى القطان و عبد الرحمن بن مهدي وقاله من الصحابة عمر وعلي وأبو هريرة ومن التابعين سعيد بن المسيب وقال: إن ذلك سنة ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

---

(١) "تفسير ابن كثير"(٣/ ١٣٦).

وقالت طائفة لا يفرق بينهما ويلزمها الصبر عليه وتتعلق النفقة بذمته بحكم الحاكم وهذا قول عطاء و الزهري وإليه ذهب الكوفيون و الثوري واحتجوا بمعارض راجح الدلالة عندهم وهو دليلان: قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وقوله: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ** ﴾ [النور: ٣٢] فندب تعالى إلى إنكاح الفقير فلا يجوز أن يكون الفقر سبباً للفرقة وهو مندوب معه إلى النكاح وأيضا فإن النكاح بين الزوجين قد انعقد بإجماع فلا يفرق بينهما إلا بإجماع مثله أو بسنة عن الرسول الله ﷺ لا معارض لها.(١)

السادس: البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن موضعه، وفسروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أريد به،وتأولوه على غير تأويله.

والخمسة الأولى يعذر بها صاحبها، أما السادس فلا عذر له إلا بالتجرد من الهوى، وألف ابن تيمية في الأسباب التي يعذر بها صاحبها: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.(٢)

---

(١) "تفسير القرطبي"(٣/ ١٧٤)

(٢) انظر "مقدمة التفسير"(٤٨) و"أسباب اختلاف المفسرين" للدكتور: محمد بن عبد الرحمن الشايع فقد ذكر الأسباب بتوسع، وانظر"التنوير في أصول التفسير" للدكتور عبد السلام المجيدي(٣٢٣-٣٢٦)

المبحث السابع:

قواعد مهمة في التعامل مع اختلاف المفسرين

ينبغي على المفسر في تعامله مع الاختلاف في التفسير أن يعتمد علي قواعد الترجيح، والتي منها:

١- مراعاة النظرة الكلية الشاملة للآيات .

٢- مراعاة السياق .

٣- الأصل عودة الضمير علي أقرب مذكور سابق.

٤- الأخذ بظاهر النص فالأصل هو إجراء الكلام علي معناه الظاهر، فلا نلجأ إلي القول بالمجاز إلا بقرينة تمنع من استعمال المعنى الحقيقي

٥- الأصل بقاء العام علي عمومه ما لم يرد ما يخصصه، وبقاء المطلق علي إطلاقه ما لم يرد ما يقيده .

٦- إعمال النص خير من إهماله وعليه فلا نلجأ للنسخ إلا عند التعارض الشديد.

٧- الأصل بقاء النظم القرآني على نسقه وترتيبه.

٨- الاستفادة من تنوع القراءات المتواترة في إثراء المعنى فلا نرجح قراءة متواترة علي قراءة أخري متواترة، ولا يجوز رد القراءة المتواترة، ولا تضعيفها .

وينبغي أن يجتهد المفسر في التوفيق بين الأقوال حيث لا تعارض بينها .

أما ما ورد من أقوال مختلفة في التفسير لا يمكن الجمع بينها بوجه من الوجوه،

فسبيلنا فيها ما يلي:

١- أن ننظر في صحة تلك الآراء المتناقضة فنقدم الصحيح علي الضعيف.

٢- ويقدم تفسير الصحابة علي تفسير التابعين.

فإن كان الخلاف في تفسير الصحابة ينظر في الأمر: فإن كان للصحابي الواحد قولان متناقضان ينظر في المتأخر منهما فيعتمد؛ لأنه يدل علي تراجعه عن رأيه القديم، فقد يرى رأياً ثم يثبت له بعد ذلك ضعفه، وإن خالف الصحابي الواحد سائر الصحابة يقدم رأي جمهور الصحابة علي رأي الواحد منهم، وإن خالف رأيُ صحابي رأيَ صحابي آخر يقدم رأي أرسخهما قدما في التفسير كابن عباس رضي الله عنهما وهذا ما ذهب إليه الزركشي لأن الرسول ﷺ دعا لابن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».[1]

أما إذا تعارض التفسير بالرأي مع التفسير النبوي ولم يمكن التوفيق بينهما فيعمل فيه ما يلي:

يقدم التفسير النبوي لأنه لا اجتهاد مع نص، وكذا إذا تعارض التفسير بالرأي مع ما ثبت من أقوال الصحابة " لأن ما يصح نسبته إلى الصحابة في التفسير النفس إليه أميل لاحتمال سماعه من الرسول ﷺ، ولما امتازوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح ولما اختصوا به من معاينة أسباب التنزيل.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٤٣)، ومسلم برقم(٢٤٧٧).

لكن إذا تعارض التفسير بالرأي مع تفسير التابعي ينظر في المسألة:

فإن كان التابعي مما لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب، أو كان التفسير في ما فيه مجال للرأي فحينئذ نلجأ للترجيح بين التفسير بالرأي وقول التابعي إلا إذا كان إجماعاً للتابعين فإنه يقدم علي التفسير بالرأي وذلك كله بشرط وجود التعارض الحقيقي، أما إذا تيسر الجمع بين المعقول والمنقول فلا نلجأ إلي الترجيح.[١]

(١) انظر "اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه" للأستاذ أحمد الشرقاوي بحث منشور في شبكة التفسير .

المبحث الثامن شروط المفسّر

مجمل الشروط التي ذكرها أهل العلم كما يلي:

أولاً: سلامة المعتقد.

فمن انحرفت عقيدته، أثر ذلك في تفسيره للقرآن بتأويل الآيات التي تخالف مذهبه الباطل، وتحريفها حتى توافق مذهبه، ومن هؤلاء فرق الخوارج، والروافض، والمعتزلة والصوفية.

ثانياً: أن يكون المفسر عالماً بأصول التفسير.

وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالماً بالقراءات، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم المتعلقة بالتفسير.

ثالثاً: أن يكون عالماً بالحديث رواية ودراية.

إذ أن أحاديث الرسول ﷺ هي المبينة للقرآن كما قال الإمام أحمد رحمه الله: السنة تفسر القرآن وتبينه.

رابعاً: أن يكون عالماً بأصول الدين.

وهو (علم التوحيد) حتى لا يحصل منه في تفسيره ما يخالف المعتقد الصحيح في الألوهية والأسماء والصفات.

خامساً: أن يكون عالماً بأصول الفقه.

إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، وبه يعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد.

سادساً: أن يكون عالماً باللغة العربية وعلومها.

كالنحو، والصرف، والبلاغة بأقسامها، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وهذه العلوم يتوصل بها إلى معرفة المعنى، وخواص التركيب، ووجوه الإعجاز.

إلى غير ذلك من الشروط التي ذكرها أهل العلم في كتبهم[١]

تم بحمد الله وتوفيقه.

---

(١) "البرهان"(٢/ ١٥٣)،"مناهل العرفان"(٢/ ٣٨)،"أصول التفسير وقواعده" للشيخ عبد الرحمن العك(١٨٦) "دراسات في علوم القرآن "للرومي(١٦٧).

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
تمهيد ٨
مقدمة علوم القرآن ٨
تعريفه: ٨
موضوع علوم القرآن: ٨
ثمرة علوم القرآن: ٨
التدوين فيه: ٩
الفصل الأول: الوحي ١١
تعريف الوحي: ١٢
تعريفه في الشرع: ١٥
أنوعه ١٥
أولاً: وحي الله تعالى إلى ملائكته: ١٥
كيف تلقى جبريل القرآن من الله عز وجل؟ ١٨
ثانياً: وحي الله تعالى إلى رسله: ٢٩
الفصل الثاني: القرآن ٣٤
أولاً: تعريفه: ٣٥
ثانياً: أسماء القرآن الكريم وأوصافه: ٣٧
ثالثاً: الفرق بين القرآن والحديث القدسي. ٣٩
ثالثاً: الفرق بين القرآن والحديث القدسي: ٤٠

الفصل الثالث: نــزول القــرآن.....٤٦
المبحث الأول: كيفية نزول القرآن..... ٤٨
أولاً: كيف أنزل القرآن؟ ٤٨
ثانياً:الحكمة من نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا: ٥١
ثالثاً:الحكمة في نزول القرآن على النبي ﷺ منجماً: ٥٢
المبحث الثاني: ٥٩
معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن ٥٩
أولاً: معرفة أول ما نزل مطلقاً: ٥٩
ثانياً:آخر ما نزل من القرآن مطلقاً: ٦٥
المبحث الثالث: أسباب نزول القرآن ٧٠
أولاً:تعريف سبب النزول:..... ٧٠
ثانياً: أقسام النزول..... ٧٠
ثالثاً:طريقة معرفة سبب النزول: ٧١
رابعاً:صيغة سبب النزول: ٧٣
خامساً:تعدد الأسباب و النازل واحد ٧٦
سادساً: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟..... ٨٨
سابعاً: فوائد معرفة أسباب النزول: ٩٠
ثامناً:المصنفات في أسباب النزول: ٩٤
المبحث الرابع: نزول القرآن على سبعة أحرف ٩٥
أولاً: الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف: ٩٥
ثانياً: ما المراد بالأحرف السبعة؟..... ٩٧
ثالثاً: أنواع الاختلاف في الأحرف السبعة:..... ١٠٦

رابعاً: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟ ١٠٧
خامساً: الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية: ١٠٩
المبحث الخامس: القراءات وما يتعلق بها ١١٣
أولاً: تعريف القراءات: ١١٣
ثانياً: شروط القراءة الصحيحة ١١٣
ثالثاً: أنواع القراءات: ١١٦
رابعاً: حكم القراءات السابقة: ١١٧
خامساً:فوائد اختلاف القراءات ١٢٢
سادساً:علاقة القراءات بالأحرف السبعة ١٢٤
شبهة والرد عليها ١٢٧
سابعاً:جمع القراءات السبع أو العشر في القراءة ١٢٨
ثامناً:ترجمة القراء العشرة: ١٣٠
١ - نافع: ١٣٠
٢ - ابن كثير: ١٣١
٣- أبو عمرو: ١٣٣
٤ - ابن عامر: ١٣٥
٥ - عاصم: ١٣٦
٦ - حمزة: ١٣٩
٧ - الكسائي: ١٤١
٨ - أبو جعفر. ١٤٢
٩- يعقوب الحضرمي: ١٤٣
١٠ - خلف بن هشام ١٤٥
المبحث السادس: مكان النزول (المكي والمدني) ١٤٦

أولاً: تعريف المكي والمدني. ١٤٦
ثانياً:طريقة معرفة المكي والمدني: ١٤٩
ثالثاً: ضوابط المكي والمدني: ١٥١
رابعاً: مميزات المكي والمدني: ١٥٢
خصائص القرآن المكي: ١٥٢
خصائص القرآن المدني: ١٥٥
خامساً: فوائد معرفة المكي والمدني: ١٥٨
سادساً: حصر السور المكية والمدنية: ١٥٩
أولاً: السور المكية: ١٥٩
ثانياً: السور المدنية: ١٥٩
ثالثاً: ماحصل فيه الخلاف والراجح أنها مكية: ١٦٠
رابعاً: ما حصل فيه خلاف والراجح أنها مدنية: ١٦١
سابعاً: الآيات المدنية في السور المكية: ١٦١
الفصل الرابع:حفظ القرآن ١٦٣
أولاً: حفظ القرآن الكريم في السماء: ١٦٤
ثانياً: حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض: ١٦٦
ثالثاً: حفظ القرآن الكريم على الأرض: ١٦٨
الفصل الخامس : جـــمـــع القـــرآن ١٧٥
أولاً: معنى جمع القرآن: ١٧٦
المبحث الأول: جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ ١٨١
أولاً: الأدلة على كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ: ١٨١
ثانياً: كُتّاب الوحي: ١٨٣
ثالثا: الأدوات التي كتب عليها الوحي: ١٨٥

رابعاً: الصفة التي كتب عليها القرآن في عهد النبي ﷺ: ١٨٦
خامساً: السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده ﷺ: ١٨٧
المبحث الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه ١٩٠
أولاً: سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه: ١٩٠
ثانياً: سبب تردد أبي بكر الصديق في قبول عرض عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن: ١٩١
ثالثاً: سبب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه: ١٩٢
رابعاً: منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن: ١٩٤
خامساً: مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق: ١٩٥
سادساً: خبر هذا الصحف: ١٩٨
المبحث الثالث: ٢٠٠
جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٠٠
أولاً: سبب جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه: ٢٠٠
ثانيا: منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه: ٢٠٢
ثالثاً: مميزات الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه: ٢٠٦
رابعاً: عدد المصاحف العثمانية وإلى أين أرسلت؟ ٢٠٨
خامساً: أخبار الصحف بعد نسخ المصاحف وإرسالها: ٢٠٩
الفصل السادس: ترتيب القرآن ٢١٢
المبحث الأول: ترتيب الآيات في السور ٢١٣
المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن ٢١٤
مسألة: ترتيب القرآن في القراءة: ٢١٦
الفصل السابع إعجاز القرآن ٢٢٠
المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن ٢٢٠

أولاً: تعريفه لغة: ٢٢١
تعريفه اصطلاحاً:..... ٢٢٢
المبحث الثاني: ثبوت الإعجاز..... ٢٢٣
المبحث الثالث : ثمرة الإعجاز:..... ٢٢٥
المبحث الرابع : شروط الإعجاز:..... ٢٢٧
المبحث الخامس : بيان وجوه الإعجاز:..... ٢٢٨
القول بالصرفة:..... ٢٣٢
المبحث السادس :القدر المعجز من القرآن ٢٣٦
المبحث السابع : ما يتعلق به الإعجاز..... ٢٣٩
الفصل الثامن: التفسير ٢٤١
المبحث الأول: تعريف التفسير..... ٢٤١
أولاً: تعريفه لغة: هو مشتق من الفسر. ٢٤٢
اصطلاحاً:..... ٢٤٢
المبحث الثاني : حكم تفسير القرآن: ٢٤٣
المبحث الثالث: حكم تعلم تفسير القرآن: ٢٤٥
المبحث الرابع طرق تفسير القرآن: ٢٤٧
الطريقة الأولى: أن يفسر القرآن بالقرآن..... ٢٤٧
مسألة: كيف يفسر القرآن بالقرآن؟..... ٢٤٧
مسألة: لماذا يفسر القرآن بالقرآن؟ ٢٤٧
أوجه تفسير القرآن بالقرآن:..... ٢٤٨

الطريقة الثانية: تفسير القرآن بالسنة. ٢٥٠
مسألة: لماذا يفسر القرآن بالسنة؟ ٢٥٢
مسألة: وجوه تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم: ٢٥٣
الطريقة الثالثة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة: ٢٥٥
مسألة: لماذا يفسر القرآن بأقوال الصحابة؟ ٢٥٦
مسألة: طرق ومصادر التفسير عند الصحابة: ٢٥٧
الطريقة الرابعة: تفسير القرآن بأقوال التابعين: ٢٥٩
مسألة: لماذا يفسر القرآن بأقوال التابعين؟ ٢٥٩
طرق ومصادر التفسير عند التابعين: ٢٦٠
مسألة: هل قول التابعي حجة في التفسير؟ ٢٦٠
الطريقة الخامسة: تفسير القرآن باللغة العربية ٢٦٢
مسألة: لماذا يفسر القرآن باللغة العربية؟ ٢٦٢
المبحث الخامس الاختلاف الوارد في التفسير ٢٦٥
❑ أنواع الاختلاف في التفسير: ٢٦٥
المبحث السادس : أسباب الاختلاف بين المفسرين ٢٧٠
المبحث السابع: ٢٧٤
قواعد مهمة في التعامل مع اختلاف المفسرين ٢٧٤
المبحث الثامن شروط المُفسِّر ٢٧٧
تم بحمد الله وتوفيقه.فهرس المحتويات ٢٧٨